خواطر ثائر

حتى نجني ثمار الثورة

تأليف الشيخ

مصطفى عبد الواحد مندور



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : حتى نجني ثمار الثورة

المـــــؤلف : الشيخ: مصطفى عبد الواحد مندور

رقـم الإيداع : 16261 / 2011

الطبعة الأولى 2011



إهداء

إلي كل المصريين الشرفاء

إلى كل الأحرار الذين ثاروا في وجه الفاسدين في كل العالم ؛

إلي كل من سقط شهيداً أو ضحي ولو باليسير من أجل الحرية ؛

إلي أمي وأبي الذين كابدا في هذا الوطن لتربيتنا علي حبه والانتماء إليه ؛

إلي كل أم وأب قدما ولدهما أو دَعمَا موقفه في هذه الثورة المباركة ؛

إلي كل الذين أيدوا هذه الثورة وباركوها ولو بعد حين ؛

فجرت مدامع الأقلام وانحلت عقد الألسن فتدفقت ينابيع الكلام بعد طول حبس كاد أن يجمد في الأقلام أحبارها ويفني في العقول أفكارها ؛

إلي كل من يحب هذا الوطن ؛

أهدي هذه الكلمات لكل من ساهم في بناء صرح الحرية ومجدها وألبس بلادنا ثوب عزها .

قالوا عن الكتاب

خواطر حول الخواطر

لقد تابعت هذا المؤلف منذ لحظاته الأولي وأعجبتني الفكرة كثيـرا، وأعجبنـي تنـاول الشيخ الفاضل لهذا الموضوع وما عرضه من أفكار كانت محاولـة تربويـة في إطـار دينـي لترسيم طريق يضع من خلاله خطوات تساعد من ينفذها علي استثمار نتائج ثورة الخامس والعشرين من يناير التي قام بها شباب مصر الواعي المـدرك لحقوقـه والمنفـذ لواجباتـه ؛ فجاء هذا الكتاب ليضع إستراتيجية عملية يمكن لكل فرد وجماعـة ، وحـزب وفريـق ، أن يستفيد بها في تحقيق أكبر المكاسب لنفسه ولوطنه في مختلف مجالات العمـل السياسـي والاقتصادي والاجتماعي ؛ فيضع لبنة في بناءٍ يحب كل مصري أن يساهم فيه ، وأسألُ اللهَ لمؤلف هذا الكتاب كل التوفيق .

د. خميس محمد خميس

كلية التربية بالسادات – جامعة المنوفية

قراءة في خواطر ثائر

بعد قراءتي لهذه الرسالة الأولى من خواطر ثائر حول الثورة المصرية المباركة والتي حطم الله بها ما ظنه الطواغيت بخلود كراسيهم ودوام استعبادهم للناس أنه لن يتحطم والتي كذلك أثبتت للناس جميعا أن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ولكن يريد منها فقط الأخذ بالأسباب ، وأن الله ينصر من نصره وأن معية الله وتأييده تكن مع الإجابيه من الناس والكون ، وليست مع السلبية .

وفى هذه الخواطر أراد فضيلة الشيخ أن يقول للناس وخاصة الثائرين منهم : أن القضية ليست في تحقيق النصر ولكنها في الثبات على مبادئ وقيم النصر ولذالك جاء ثبات الأقدام بعد النصر وليس قبله كما قال ربنا ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:7] ومن وحى هذه الآية وغيرها أراد الكاتب أن يضع لنا العوامل التي تعين على تأمين هذا النصر والثبات على قيمه ومنها :

الإيجابية وعلو الهمة وقبول الآخر وسمو الذات

ثم ناشد الجميع أن يعتصموا يدا واحدة تضرب بقوة على أيدي المفسدين وإلا فقد سهر أناس كثيرون يزرعون بذور هذه الثورة حتى نبتت سيقانها وبزغت ثمارها ثم غفلوا عن حمايتها ورعايتها حتى ماتت الثمرة أو نضجت وسرقها السارقون ولهذا فلنجعل من أنفسنا أعينا تحرس في سبيل الله ونكن حراسا على الثورة حتى ننعم بثمارها

الداعية الإسلامي

مندور عبد الواحد مندور

واعظ بالأزهر الشريف

وعضو مؤسس لهيئة الأئمة بألمانيا وإمام المركز الإسلامي لجمعية الرحمة للإندماج الحضاري ببرلين

المنطلقات الكبرى لجني ثمار الثورة

إن المخلصين لهذا الوطن الراغبين في أن يعود رائدا كما كان وقائدا كما عهدته الأمم فهم يواصلون عمل الليل بالنهار لكي يخططوا للأمة مستقبلها ويرسموا لها سبل نهضتها ، ورسائل فضيلة الشيخ مصطفى مندور تسعى لأن تقدم بابا من أبواب الوصول للنتائج الطيبة لهذه الثورة وجني ثمارها فركز رسالته في نقاط أساسية وعامة يمكن تسميتها { بالمنطلقات الكبرى } وأهمها الإيجابية وعلو الهمة وقبول الآخر فأما الإيجابية فهي التي تُفَعِّل كل طاقات الأمة بحيث يصبح كل فرد فيه ترسا فاعلا في صناعة التقدم ، أما علو الهمة فمن شأنها أن تصنع للأمة ما من شأنه أن يتصور البعض أنه مستحيل الحدوث وقبول الآخر هو ما يحقق السلام بين أبناء الوطن الواحد والتعاون معهم والمساواة بينهم ورعاية المصالح العامة هي القيمة التي تضع أولويات الوطن والأمة في ترتيبها المناسب، والكتاب لبنة طيبة في بناء الأمة ما بعد الثورة وهو الرسالة الأولى ولها ما بعدها من رسائل أعدها المؤلف فنرجو الله أن ينفع به وبكتاباته الأمة .

الصحفي

محمد راشد

رئيس تحرير جريدة الإتحاد العربي

تقديم

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

وبعـد ؛

فإن الواقع الذي تمر به الأمة كاملـة وشـعبنا في مصـر خاصـة مملـوء بالأحـداث التـي يتوقف الإنسان عندها كثيرا ويتساءل ، ترى بماذا تأتى الرياح ؟ وخشي الكثيرون أن تـأتي الرياح بما لا تشتهى السفن، خصوصا وقد استنشق الناس عبير الحرية العـزب بعـد طـول انتظار في سنينَ عجاف عصـفت بالحريـة فيهـا سـياط القهـر والظلـم والاسـتبداد وحـب المنصب والسلطان وأمنيات التوريث للحكم ، فتواتر القلـق بـين الشـعوب ـ شـعبا تلـو الأخر ـ من شبح التوريث الذي خيم علي المنطقة العربيـة كلهـا وضـاق النـاس بـه ذرعـا فحبست الأنفاس وغلت الأيدي وكممت الأفواه وفتحـت أمـام النـاس أبـواب السـجون حتى ظن الناس أن كل فرد خارج أبواب السجون له مكان في داخلها من كثـرة مـا أرهـب الناس بطش الحكام الذين جثموا عـلي الصـدور أعوامـاً عديـدة وأزمنـة مديـدة فضـاقت الأرض بأهلها وضيقت علي من فيها وجاوز السيل الزُبَي ، فوجد الناس أنفسهم من سيئ إلي أسوأ منه ،

فانفجر الغضب في الناس كالبركان وثار ثورة النار في الهشيم وتحركت أمواج البشـر في كل البلاد وتعالت أصوات العباد وهي تنادي بسقوط النظام الفاسد كاملا بجميـع هياكلـه وأفراده وصارت أمواج البشر تجرف في طريقها كل من يقف أمامها ، وعظمـت في قلـوب الناس التضحية فضحوا بالأموال والوقت والجهد والأولاد وسـمت التضـحية في قلـوبهم حتى حملوا أرواحهم علي أكفهم وضحوا بالغالي والرخيص

كي يتحرر العباد من تسلط المستبدين ، فسمعوا التهديد والوعيد لكنهم آمنوا بقضيتهم فعقدوا العزم وتحملوا الصعاب وواجهوا الموت حالهم ﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ [طه] وذلك لأنهم قرءوا القرآن ففهموا قول الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعدْ:11] ، فحدَّثَ نفسه إن لم تقتلي تموتي ولموت في كرامة وعزة خير من حياة في قهر وذِلَّه ، فكانت هذه التضحيات بداية ثورة مباركة زلزلت كيان الطغاة وأسقطت عروشهم ، وعصفت بآمالهم التي تقهر العباد وقطعت الطريق عليهم فلم يعودوا يقدروا على سرقة البلاد ، وتحرك القاصي والداني كل يريد أن يدحر سنينا من القهر بعيدا حيث تمنى الجميع أن تذهب بلا رجعة ويصبح طلاقها بائنا بينونة كبرى فلا تحل إلا بما أحله الله عز وجل ، وقد رأيت وسمعت بعد هذا الحدث العظيم عمن تركوا الحدث وظلوا يفكرون في المناصب الشاغرة في البلاد وكيف يصلوا إليها ، فمنهم من يستعد لانتخابات المجالس النيابية ومنهم من سمى طموحه وارتقت أمانيه إلى انتخابات الرئاسة ومنهم من أراد أن يكوِّن حزبا أو مؤسسة ، فكان هذا التباين واضحا في رؤى الناس لهذا الحدث ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [فاطر:32].

ولذلك ،

فإنني أخشى أن تكون هذه الهجمة السياسة ظاهرة مرضية ، فالذي يحدث الآن أسميه حمى الحرية وقد أصيب بها الكثير ممن أصابهم قهر الأنظمة السابقة فغدوا يفكرون كيف يستنشقون هواء الحرية والعزة بعد الاستعباد والإذلال فعملوا على انتهاء الظلم والاستبداد كما انتهى في عهد الفرعون الذي كان يقسمُ الناسُ بعزته كما ورد ﴿ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الشعراء].

لذا :

أردت في هذه الورقات القلائل أن أضع علاجا لهذا العرض ؛ (والذي أخشى أن يكون مرضا خطيرا وفتاكا)، عسي أن تكون رسالة إلي كل من يهمه الأمر سواء كان مسئولا أو تطمح نفسه إلى المسئولية أو كان من المتخاذلين الذين وضعوا أيديهم على خدودهم وجلسوا ينعون حظهم ويعيبون زمانهم ورضوا بالاستسلام وتملك اليأس من أنفسهم فلم يقدروا على الحركة وإن امتلكوا مقوماتها ، عسى أن يكون فيها تذكرة لما يصلح الله به البلاد والعباد وقد جعلت لها عنوانا سميته :

« حتى نجنى ثمار الثورة »

وجعلته في سبعة عناصر على النحو التالي :

❋ الأول : حتى نجنى ثمار الثورة.

❋ الثاني رعاية المصلحة العامة.

❋ الثالث : قبول الآخر.

❋ الرابع : واعتصموا.

❋ الخامس : الإيجابية .

❋ السادس : علو الهمة.

❋السابع : سمو الذات.

ثم إني أسأل الله عز وجل أن يجزى كل من ساهم معي ولو بكلمة في إخراج هذا العمل وفى عرضه على الناس خير الجزاء وأخص بالذكر إخواني الذين عرضت عليهم هذا العمل قبل طباعته وأشاروا عليّ بما فيه النفع حتى يخرج الكتاب في صورة حسنة وأذكر منهم :

الأخ الدكتور / خميس محمد خميس – كلية التربية بالسادات – جامعة المنوفية، والأخ الأستاذ الفاضل الداعية الإسلامي / الشافعي محمد البنا ، والأخ الكريم الشيخ / مندور عبد الواحد مندور واعظ بالأزهر الشريف ومبعوث الأزهر إلى ألمانيا عضو جمعية الرحمة للاندماج الحضاري ببرلين ، وفضيلة الداعية الإسلامي الشيخ / إبراهيم الشرنوبي والأخ الكريم الداعية الإسلامي الشيخ / حمادة فرج النجار الحاصل على الماجستير في التاريخ الإسلامي ، والأستاذ الصحفي/ محمد راشد بأخبار اليوم ورئيس تحرير جريدة الإتحاد العربي ، والأستاذ / على مسعود اللمعي مدير سابق بالقوى العاملة ومحاضر سابق بالجامعة العمالية ؛

ثم إني أسال الله عز وجل أن يجعله عملا مُتقبلاً وأن ينفع به البلاد والعباد إنه ولى ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

مصطفى مندور

إمام وخطيب بالأوقاف

أبو المطامير

في 16 يونيو20011

أولاً حتى نجني ثمار الثورة

بعد هذه الثورة المباركة التي حدثت في بلادنا وامتدت جذورها إلي العالم العربي وغدت علي وشك أن تؤتي ثمارها وينتظر كل فرد حصاد ما قد زرعه هذا الثائر العظيم الذي ثار في وجه الطغيان والبطش والظلم والفساد، وسواء كان هذا الثائر شاباً أو امرأة أو رجلاً كبيراً أو طفلاً صغيراً فإن الإنسان العاقل يقف أمام هذا العمل إجلالا وتقديراً للأحياء منهم، وتكريماً لأرواح الشهداء الذين سقطوا دفاعاً عن حرية المستعبدين قسراً والمظلومين قهراً والأشقياء دهراً والكادحين عمراً.

فليس مهما الآن من شارك ومن لم يشارك ، ومن تسبب في التغيير ومن عوق المسارعين إلي التضحية والفداء ، لا مجال هنا للمقارنات، ولكن من سبق وقع أجره علي الله ومن تأخر فلا تثريب عليه ومع ذلك يجب أن نفرق بين من انتفع من الوطن واستغل طاقاته وقدراته وسخرها لمصالحه الشخصية ، فهذا يجب أن يحاسب ، ومن أعطي للوطن وضحى من أجله فهذا يجب أن يقدر ويحترم.

إن دماء هذه النفوس الثائرة التي رويت بها الأرض حُقَّ لها أن تنبت نباتها وتؤتي ثمارها ، ويجب علي الكل أن يحسن رعاية هذه النبتة الخضراء وإحاطتها من كل جانب حتى يشتد عودها وتمتد جذورها وتسمو وترتفع فروعها فيصبح أصلها ثابت وفرعها في السماء فحينها تؤتي بإذن الله أكلها ويستطيع القاصي والداني أن يجني ثمارها وينعم في ظلها الوارف . ومن الأهمية الآن أن نتعلم؛ كيف نحافظ علي ما وصلنا إليه، وكيف نجني الثمرة.

وحتى يحدث ذلك فليعلم الناس أن النجاح قد يكون سهلاً ولكن الحفاظ عليه هذا من الصعوبة بمكان،وكذلك الأصعب من النجاح هو تحقيق أهدافه ، فلا يكفي أن نهتف من الأعماق بأن الثورة قد نجحت؛ ولكن يجب إن تحقق الثورة أهدافها وتؤتي أكلها ويجني الناس الثمار التي رويت بدماء الشهداء الطاهرة .

لذلك

أقدم هذه الورقة بين يدي الحصاد كي نفرح جميعاً بلذة قطف الثمار وندرك قيمتها فكل مرحلة من المراحل لها ما لها من الصعوبات والمخاطر ، فيجب علي العاقلين أن يـدركوا الخطر ويكون حالهم يد تبني ويد تجاهد وعين تحرس وأخري ترقب المستقبل ليكتمـل طلوع الفجر وحتى لا تكسف شمسه قبل الشروق ، وليعلموا أن هناك مراحل كثيـرة قبـل جني الثمار وقطف الأزهار يجب علي الأمة أن تمر بها وتحسن إدارة الذات فيها .

ولكي نحسن إدارة الذات يجب أن يتحرك الجميع بإيجابية فاعلة فتعلو الهمة ، وتسمو الذات ، ويقبل كل منا بالآخر، وتُغلّب المصلحة العامة علي الخاصة وسنفرد لكل من هذه المفاهيم مبحث منفصل عسى الله أن ينفع به البلاد والعباد .

ثانيًا رعاية المصلحة العامة

كم رأينا في ثورتنا ـ على مر أيامها ولياليها ـ الحرص الشديد من أبناء الثورة على المصالح العليا للبلاد فكانت الحماية للممتلكات العامة والخاصة وحماية الضواحي والشوارع والبيوت ورأينا شباب بلادنا الأمين الذي أمضى ليله ساهرا في الخدمات العامة في اللجان الشعبية التي نظمت لحماية الممتلكات العامة والخاصة فكان ذلك نموذجا فريدا من النماذج التي ألهمت العالم .

أما وقد أثمرت الثورة ثمرة من ثمارها وأُزِيح النظام الفاسد وبقيت من الثورة توابعها التي تحافظ على مكتسباتها وتسعى لجني الثمار منها فيجب على الناس ألا ينسوا رعاية المصالح العامة للبلاد والحفاظ عليها وهذا ما يحتاج منا إلى عمل شاق وجهد كبير .

فقد جُبِل الإنسان علي حب الخير لنفسه وللمقربين منه ، خاصة أبنائه وأبناءهم ، فهو يسهر الليل ويعمل النهار من أجل مصالحه ومصالح أبنائه وأحفاده ، ولكن أن يسهر الإنسان لرعاية مصالح غيره فهذا يحتاج إلي مجاهدة عظيمة .

فرعاية مصلحة الآخرين تتطلب الحرص عليهم وعلي أفكارهم وأعمالهم وحاضرهم ومستقبلهم ، فالحرص علي وصول الخير إلي الغير من علامات الإيمان بالله قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه** » فمن فكر في مصالح الآخرين فهو مؤمن ، وهذه جملة إشارات على طريق رعاية المصالح العامة تضيء الطريق لمن سلكه وتمهده لمن سار فيه .

الإشارة الأولى
لا تكن سلبيا فأنت فقير

حاجة المسلم إلى الصالحات من الأعمال وما وراءها من أجر : ومثوبة تجعله فقيرا إلى هذا الخير فهو يتلمسه في كل وقت ويبحث عنه في كل حدث أو حديث ولذا فالإنسان المسلم ليس سلبياً تجاه أحداث مجتمعة حتى وإن كان وافداً جديداً عليهم فيجب ألا ينسلخ عن واقع يحيط به ، فقد رأينا فى قصة موسى ﷺ أنه خرج إلي مدين وعلي مشارفها آوي إلي ظل شجرة وجاء الرعاة ليسقون ما معهم من قطعان ومن بينهم امرأتان لا تستطيعان مدافعة ولا يسقون إلا آخر السقاة ، فرأي موسي عليه السلام الأمر فقام مع ما به من عناء السير الطويل من مصر إلي مدين ليسقي لهما؛ وإليك حديث القرآن عن ذلك ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

أَعَلِمتَ ..... ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إن رعاية مصلحة الآخرين يعدُّها موسي عليه السلام خير – وهو فقيرٌ إلي هذا الخير – وكأنه يعلن احتياجه وعوزه إلي خدمة الآخرين فقد غلَّب مصلحة الغير وخدمتهم علي راحة جسده .

الإشارة الثانية
الدين النصيحة

إن تغليب المصلحة العامة جعله الإسلام في كل شيء بدءًا من الفكرة التي تطرأ علي عقل الإنسان فيجب على صاحبها أن يقدمها للآخرين وهو صادق فيها ، فقد جعل النبي ﷺ النصيحة من الدين فقال ﷺ فيما رواه مسلم وغيره بلفظ (الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ، ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما بلفظ (إن الدين النصيحة) ثلاث مرات .... فالنصيحة واجبة علي أي واحد لأي فرد كائن من كان حاكماً أو محكوماً رئيساً أو مرؤوساً من أئمة المسلمين أو من عامتهم فالنصيحة له واجبة .

الإشارة الثالثة

الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة

لقد كان عمر ﷺ نموذجاً في رعاية مصالح المسلمين عامتهم وخاصتهم ، فذات يوم جاءه رسول عامله على أذربيجان، ومع هذا الرسول هدية ثمينة ، وصل إلى المدينة في منتصف الليل ، فكره أن يطرق باب عمر ، فتوجه إلى المسجد، فإذا في المسجد رجل يبتهل إلى الله ، ويقول : يا رب ، هل قبلت توبتي فأهنئ نفسي ، أم رددتها فأعزيها؟

قال له بعد أن انتهى من صلاته : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عمر ، قال : يا سبحان الله ؟ قال : إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي ، وبعد أن صلُّوا الفجر أخذه إلى بيته ، وخيره بين أن يأكل مع فقراء المسلمين ، وبين أن يأكل في بيته ، فهذا الرسول بحسب المألوف أن طعام الأمير نفيس جداً ، فاختار أن يأكل في بيت عمر ، فقال: يا أم كلثوم ، ماذا عندك من طعام؟ قالت : والله ما عندنا إلا خبز وملح ، فقال : هاته لنا ، وكان فقراء المسلمين يأكلون اللحم ، فأكل ، وشرب ، وحمد الله على أن أطعمه، وسقاه ، وقال : ما خطبك ؟ قال : جئت بهذه الهدية من عاملك على أذربيجان ، فتح الهدية ، فإذا هي طعام نفيس ، أكل لقمة ، فقال : يا هذا ، أيأكل عامة المسلمين هذا الطعام ؟ قال : لا ، قال : إنه طعام الخاصة، يعني طعام الأغنياء ، فلفظ اللقمة من فمه ، وقال : لا آكل إلا مما يأكل منه فقراء المسلمين . أ هـ

إنها مفارقة شاقة يوازن بها الإنسان بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة .

الإشارة الرابعة

مسئولية عظيمة وتبعة جسيمة

وقد جعل الإسلام رعاية مصالح الناس أمانة عظيمة وتبعة جسيمة ، رفض الرسول ﷺ أن يعطيها لأبي ذر رضي الله عنه علي ما به من جرأة في الحق إلا أن النبي ﷺ قال : « **يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة ويوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها ....** » فمع أنها قد تكون خزي وندامة علي من أخذها بغير حقها فقد تُلقي بصاحبها إلي الخزي والبوار يوم القيامة فقد قال ﷺ: « **من استرعاه الله رعية فبات غاشاً لهم حرم الله عليه رائحة الجنة** ».

الإشارة الخامسة
أجر من أتقنها عظيم

جعل النبي ﷺ رعاية مصالح الناس لها أجر وثواب من الله كبير ، فقد حث علي أن يحرص المسلم علي منفعة أخيه المسلم فقال ﷺ: « **من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه** » ولذا حرص ابن عباس على أن يكون في حوائج الناس مهما كانت ظروفه لما لها من الفضل فقد روى الطبراني والبيهقي والحاكم أنه كان معتكفًا في مسجد الرسول (فأتاه رجل على وجهه علامات الحزن والأسى ، فسأله عن سبب حزنه ؛ فقال له : يا ابن عم رسول الله ، لفلان علي حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر (أي قبر الرسول) ما أقدر عليه ؛ فقال له : أفلا أكلمه فيك ؟ فقال الرجل: إن أحببت ؛ فقام ابن عباس ، فلبس نعله ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟! أي أنك معتكف ولا يصح لك الخروج من المسجد فرد عليه قائلاً : لا ، ولكن سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب –فدمعت عيناه– وهو يقول : (من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى ، جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين (المشرق والمغرب).اهـ

و لقد جعل النبي ﷺ رعاية المصالح بمثابة الصدقات التي تبذل من الأغنياء للفقراء ، ولقد عاش النبي الكريم ﷺ بهذا المعني فلم يفكر في نفسه خاصة وإنما كان ما يرجوه رسول الله ﷺ نجاة أُمته من فتن الدنيا والوصول بها إلي مرضاة الله في الآخرة ، لذا عرضت عليه كل ألوان زينة الدنيا من منصب ومال ونساء وغير ذلك ولكن النبي ﷺ ترك كل هذا من أجل هداية أمته ورعايتها ، ولقد أعطاه الله عز وجل دعوة مستجابة فلم يستأثر بها لنفسه وإنما ادخرها شفاعة لأمته يوم القيامة .

هكذا يعلمنا الحبيب ﷺ أن نُغَلِّب مصالح الأمة علي مصالح الأفراد والأشخاص وعلي هذا النهج القويم تربي أصحاب الحبيب ﷺ فجعلوا مصالح الناس في أولويات حياتهم فهذا أبو ذر ينصب نفسه محاميا عن الفقراء وابن عباس يُسَخِّر نفسه لخدمة الآخرين وعمر وهو خليفة المسلمين يسهر لحراستهم وهكذا يجب أن نكون ونحن أتباعهم .

فإن رعاية المصالح العامة للأمة تقتضي أن يتحول الإنسان من الأثرة إلي الإيثار و من الأنانية وحب الذات إلي الحرص علي الآخرين وحب مصالحهم ورعايتها حق الرعاية .

الإشارة السادسة
من يكون رئيسا

ليس في الإسلام ما يميز أحداً على أحد إلا تقوي الله وطاعته ، فلله موازين يزن بها البشر غير هذه التي يفاضل بها البشر بعضهم علي بعض فكل من يري نفسه أنه الأفضل لقيادة البلاد ورئاستها لو نظر إلي المصلحة العامة للبلاد لوقف مع نفسه أولاً وقفة يتفكر فيمن يصلح معه لقيادتها وبعدما يجد من يصلح معه لقيادتها يفكر ثانية من يصلح منهم أن يكون قائداً أو بمعني من يصلح أن يكون رئيساً ومن يمكن أن يكون وزيراً والإنسان في هذا بصير علي نفسه وينبغي عليه ألا يعرضها للبلاء ما لا تطيق ، فالرئاسة بلاء ولابد لواحد من الناس أن يبتلي بها .

و ليعلم أن الناس جميعهم سيحاسبون علي أنفسهم وأعمالهم وحدهم ، أما الحاكم فيحاسب علي الرعية كاملة كما قال ﷺ : «**إن الله سائل كل صاحب رعية عما استرعاه** » .

لـــذلك ...

إن توقف الإنسان مع المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية وجد أنه من الواجب الاجتماعي أن يُوَلَّي علي المسلمين من هو أتقاهم ديناً ، وأمتنهم خلقاً ، وأرقهم فؤاداً ، وأقواهم عزيمة ، وأصدقهم يقيناً، وأحلمهم عقلاً، وأكثرهم فطنة ، وأكثرهم تجربة، وأعرفهم نسباً، و فوق كل ذلك له بصيرة ثاقبة يستطيع أن يدرك بها الصواب من الخطأ ، وهو إن أدني العلماء وأقصي الوجهاء صلح حاله واستقامت رئاسته وسعدت به رعيته، وإن أدني الوجهاء وأقصي العلماء قد لا تحمد له العواقب ولا تذكر له مناقب ؛ لأن العلماء يذكرونه بدينه فتستقيم دنياه لاستقامة دينه ، أما الوجهاء فلهم فيه مطامع ؛ المتحدث منهم والسامع ، فيذكرونه بدنياه لينال كل منهم معه ما يتمناه فتفسد دنياه لفساد مجلسه ، فمن يرعي مصالح البلاد والعباد لابد أن يتوفر فيه ما مضي من صفات فإن وجدها كل طامح للمنصب في نفسه وإلا طلبها في غيره فيكون أميناً علي الأمة ويرعي مصالح العامة والأئمة .

قال شيخنا الشيخ محمد الغزالي ﷺ رحمة واسعة وهو يكتب عن الأمانة فقال : الأمانة تقتضي بأن نصطفي للأعمال أحسن الناس قياماً بها فإذا مِلنا عنها إلى غيره لهوى أو رشوة أو قرابة فقد ارتكبنا بتنحية القادر وتولية العاجز خيانة فادحة ، ثم يقول : والأمة التي لا أمانة فيها هي الأمة التي تعبث فيها إشفاعات بالمصالح المقدرة وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم من دونهم[1] .اهـ

والرئاسة ليست مطمعاً يجري خلفها الطامعون فيه وإنما هي تكليف بعمل قبل كونها تشريف بصفة فالحاكم أمين علي البلاد والعباد.

لذلك وجب على المسارعين إليها أن يقدموا من يجدونه أكثرهم رعاية لمصالح البلاد والعباد ويكونوا هم عونا له من وراء ذلك وليس ذلك انتقاصا من قدرهم بل قد يكون فيه رفعة لهم وللبلاد والعباد فتسعد بهم بلادهم ويسعدوا بها .

فقد قال شيخنا العلامة الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» قال :

« نريد رجالاً يوصفون بما وصف به الأنصار يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع » ا هـ .

إن تغليب المصلحة العامة علي الخاصة ورعايتها يقتضي علي كل فرد أن ينزع من نفسه نظرية التفاضل في الدنيا إلي التكامل فلا يوجد إنسان يستطيع أن يجمع لنفسه في نفسه جميع الإمكانيات التي قد تعطيه صلاحيات كثيرة ذلك لأن البشر لابد وأن يعتريهم الضعف والقصور ولكن أن يبرع الفرد في عملٍ ما ولا يتفوق في الآخر فهذه هي الطبيعة البشرية لذلك من يحرص علي رعاية مصالح العباد لابد أن يدرك أن له أشقاء من البشر لابد من التعامل معهم من أجل التكامل ولتمضي سفينة الحياة ويسير الركب حتى وإن حدث هذا التكامل علي يد المعارضين فليس المهم من الذي شكل العمل وإنما المهم أن تتحقق الفائدة وتعم البلاد المنافع .

(1) أ.هـ ، خلق المسلم ش محمد الغزالي. طـ نهضة مصر.

الإشارة السابعة
نموذج مدني من بلاد الغرب

في انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة كان التنافس شديداً علي المرشح الحزبي لرئاسة البلاد بين باراك أوباما وهيلاري كلينتون ، وحسم الأمر بترشيح الحزب لأوباما ، وفي رئاسة البلاد ولما حصل له مراده ؛ كان مرشح الحزب لمنصب وزارة الخارجية هو المنافس الحزبي الذي كاد أن يقصيه عن حكم أكبر دولة في العالم ؛ فكانت هيلاري كلينتون وزيرة للخارجية ، فليس الأمر أنها كانت تنافسه علي الرئاسة ولكن المهم أن هذه مصلحة البلاد فلابد أن تتحقق المصلحة.

الإشارة الثامنة
نظرية فاسدة ولا بد من علاج

الواقع أننا منهكون ومتعبون من نظرية التفاضل السلطوي ، بمعني أن يتولي رجل الحكم ويظل محتكراً له بحجة أنه هو وحده الذي يستطيع أن يعمل هذا العمل ولا يوجد أحد أفضل منه فهذه نظرية احتكارية يسعي المروجون لها إلي استعباد العباد والسطو عليهم والحجر علي أفكارهم وطموحاتهم ، ولا بد أن تتكافأ الفرص ويعطَي كل فرد حظه من القيام علي شئون العباد والبلاد ومن يكون مؤهلاً للقيادة العامة كان له ذلك فعندئذ تسعد البلاد بأهلها ويفرح الناس ببلادهم ويشعر كل فرد أن له قيمة في مكانه وأنه بعمله الذي يعمله وإن كان عملاً وضيعاً في نظر البعض إلا أنه يضع به بلاده في المقدمة ، فهو يعمل لترقي البلاد وتنعم ولا يعمل لإسعاد نفسه فقط، وإنما يعمل لإسعاد نفسه والآخرين معه ، فمن استأثر لنفسه أن يضحك وحده وينعم وحده ولا يبالي بعد ذلك بمن دونه من البشر فهذا رجل له قلب كالحجر ضحك أو بكى ولذلك تجد أن النبي ﷺ جعل السرور الذي يدخله المسلم علي قلب أخيه المسلم من أفضل الأعمال فقال ﷺ: «**أفضل الأعمال سرور تدخله علي قلب مسلم..** ».

ومن هنا نفهم لماذا حمل عمر بن الخطاب الدقيق علي ظهره إلي المرأة وهـي في أطـراف المدينة وأبنائها حولها يبكون جوعاً ورفض أن ينصرف من هناك حتـى رآهـم يضـحكون والمرأة في جنح الظلام لا تعرفه تقول له جـزاك الله خيـراً لقـد كنـت أولي بهـذا الأمـر مـن عمر«تعني الخلافة » فيقول لها قولي خيراً وينصرف بلا عتاب ولا تأنيب.

الإشارة التاسعة

رعاية شئون البلاد والعباد

هناك جملة من الأمور تتطلبها رعاية شئون البلاد والعباد نذكر منها ما يلي :

1 - الاحتياجات الشخصية :

إن رعاية مصالح العباد تتطلب رعاية الاحتياجات الشخصية للأفراد التـي لا تصـطدم بقيم المجتمع ومبادئ الشريعة واحترام هذه الرغبات فيهم لأنها نداء الفطرة التي فطـر الله الناس عليها لئلا يسود في الناس الفحش والـتفحش فقـد مَـر عمـر في شـوارع المدينـة ـ والحديث عنه يطول ـ فسمع امرأة تقول :

تطـاول هـذا الليـل وازور	**وليس إلى جنبي حبيب ألاعـبه**
فو الله لولا الله لا شيء غـيره	**لزعزع من هذا السرير جوانــبه**
مخافة ربي والحياء يصوننـي	**وأكـرم زوجي أن تـنال مراكـبه**

فسأل عنها ولم يفضح أمرها لئلا تشـيع الفاحشـةُ في الـذين آمنـوا وعلـم أن زوجهـا في الجيش مجاهداً في سبيل الله فأمر عمر بتنظيم عمل الجيش وتسيير الأجازات فيه ومن أول الناس نزولاً هو زوج هذه المرأة وذلك بـدون ذكـر أسـباب ، ولـيس معنـي ذلـك أن يناقِشَ المسئول كل فرد في رغباته كي تلبي لهم ـ مع أن ذلك ليس خطئا إن حدث وتيسر ـ ولكن أن تيسر للناس سبل الحياة الكريمة دون عناء أو تعب وهذا ما أشار إليه عمر بقوله:

« لو عثرت دابة علي شاطئ الفرات لسألني الله عنها لما لم تصلح لها الطريق ».

2 – رعاية شئون الأفراد:

وكذلك رعاية شئون الأفراد في المجتمع ، فقد علم عمر أن النساء تعجلت فطام الرُضَّعِ ليكون لهم نصيب من بيت مال المسلمين فأبي إلا أن يحصل الرضيع علي حقه في الرضاعة مع حقه من بيت المال وأمر له بعطاء من بيت المال لئلا تتعجل أُمه فطامه .

فالذي يتصدي لقيادة العباد لابد أن يفكر لهم في كل شيء لتأمين الاحتياجات الشخصية والعامة العادية .

3 – الخطة المستقبلية :

ويجب علي المسئول أن تكون له خطة مستقبلية يسبق بها أبعاد الزمن ليسعد بها رعيته ويريحهم ـ وعن عمر أيضاً نتكلم ـ حيث في آخر أيامه وجد الناس يتعبون من جَرِّ الرَّحَى فطلب من أبي لؤلؤة المجوسي صناعة رحى تعمل بالرياح ولكن عاجلت عمر الشهادة فقتل ولم يكتمل له ما أراد،

فالاستفادة من طاقة الرياح هذه فكَّر فيها عمرُ قبل ألف وأربعمائة عام والعالم إلي الآن لا زال تفكيره في استغلالها وليد أعوامٍ قريبة ، فوَضعُ خطة مستقبليةٍ لإسعاد الناس أمر ضروري.

4– الأمن :

ومن رعاية مصالح العباد والبلاد أيضاً تقوية الجيش لإشعار الناس بالأمن الخارجي ، والعدل بينهم في أمور المعاش والحياة ليشعروا بالأمن الداخلي فيأمن المحكوم ويستريح الحاكم .

ستة أمور يجب أن تراعي لإسعاد البشر :

1 – الأمن .

2 – العدل.

3 – الحرية.

4 – المئونة.

5 – الثقافة والتعليم.

6 – الصحة.

فلابد أن يأمن الفرد علي نفسه وماله وولده ولابد أن يشعر بالمساواة مع غيره.

و لابد أن تكون له حرية الحركة والكلمة ولابد له من مئونة تكفيه وبيت يؤويه ولابد له من فكر مستنير يتماشي مع قيمه ومبادئه .

الإشارة العاشرة
محاكمة لا يجب أن تنسى

لما حدثت الثورة في مصر، ظل الناس يطالبون بمحاكمة من اختلسوا الأموال ونهبوا الشعب عقوداً من الزمن ، ولكنى كان لي إضافة أخرى وهي أن يحاكم وزير الثقافة ليس لأنه اختلس من خزانتها وإنما لأنه اختلس ثقافة الشعب وعقله وفكره ؛ فلم تعرف حقبة زمنية اضمحل فيها التفكير وضعفت الثقافة وغيب العقل مثل هذه الفترة الزمنية التي قرب فيها الفنانون والممثلون وأقصي أصحاب الفكر والعقل وأصبح الترويج للبرامج التي تظهر الكليبات الخليعة والمظاهر الماجنة حتى أصابت شباب أمتنا بمرض نفسي يسمي (الهوس الجنسي) فكثر التحرش وظهر الاغتصاب وكثر العري وقد يكون هناك الكثير من الانحلال الأخلاقي .

الإشارة الحادية عشرة
رعاية مصالح الدين لإصلاح الدنيا

هناك خمسة مصالح يجب أن تحفظ على الناس ويساق الناس إليها سوقا ويعاقب من اخترق حدودها أو انتهك حرماتها ولم يحافظ عليها وتعمد الإفساد فيها وهي المصالح الكلية للشريعة .

وتتمثل فيما يلي :

1- حفظ الدين

2- حفظ النفس.

3- حفظ المال.

4- حفظ العقل.

5- حفظ العرض.

هذه الخمس لا غنى للبشر عنها فلا حياة بلا دين وإن وجدت فلا قيمة للحياة ولا حياة بلا بشر فإن فني الخلق تعطلت الحياة لذا كفل الإسلام حق الحياة لكل البشر وإن اختلفت العقائد والأفكار وقد كان حد القصاص رادعا لتستمر حركة الحياة ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

فلكي يأمن البشر على أنفسهم لابد أن يتوفر لكل فرد كفايته من المال الحلال الذي يكفيه ويغنيه عن ذل السؤال وكذالك العقل الذي يحي به البشر وفرِّق به بين الإنسان وغيره من الكائنات كذلك لابد وأن يحفظ ولذا كان حد الخمر رادعا لتغييب العقل عن صاحبه ولو شيئا يسيرا.

و العرض لا يقل أهمية عن سوابقه فحفظ العرض والنسل من الأمور التي لا تستقيم الحياة إلا بها ولذا كان حد القذف للمحصنات رادعا لئلا تحدث الفوضى في المجتمع وحتى لو كانت فوضى كلامية فكل ذلك في الإسلام له ضوابطه التي تقيده وتحفظ به على المجتمع أمنه وأمانه واستقراره .

وهناك مصالح مهمة في حياة البشر لا غنى لهم عنها فيجب أن تراعى نذكر منها ما يلي :

❋ مصالح ضرورية : وهي مالا تستقيم حياة البشر إلا بها ولا غنى للناس عنها

❋ مصالح حاجية : قد يضطر إليها كثير من الناس ، لارتباط مصالحهم بها وتصبح حياتهم عسيرة بدون تحقيقها .

❋ مصالح تحسينية : وهذه ما إن وجدت تيسرت للناس معايشهم واستراحت بهم حياتهم وتيسرت لهم أمورهم .

ويجب على الناس أن يدركوا هذه الأمور كلها سواء كانوا فرادى أو جماعات ، مسئولين أو من عامة الناس ، ويعملوا على تحقيقها والتعاون فيما بينهم من أجل إرساء دعائمها وتقوية أواصرها لإسعاد المجتمع بها ويجب علي المجتمع قاطبة أن تتضافر جهوده أولاً وقبل كل شيء لرعاية هذه المصالح العامة والتي أشرت إلي نماذج منها ولا غني لأي مجتمع عنها ، وذلك فضلاً عن أن يكون مَن الرئيس أو المرؤوس أو مَن الوزير أو المحافظ أو مدير المؤسسة ولكن المهم أن يُعطِي كل إنسان في مكانه ، وليس في خاطره إلا رفعة وطنه وإسعاد رفاقه وقضاء حوائجهم ، كافأه الناس أو تجاهلوه، ولكن حسبه أن الله يراه ويعلم ما يفعل فالأمر لله وحده والأجر والثواب من الله العلي الكبير الذي أحصي كل شيء عدداً وأحاط كل شيء علماً ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ؛ وأعتقد أننا قد لا نصل إلى هذه الدرجة إلا إذا ترسخت عندنا قناعة تامة بقبول الآخر وتعلمنا فن التعامل معه وهذا ما سنقف عليه في المبحث التالي.

أصلح الله البلاد والعباد والله الموفق والمستعان.

ثالثًا قبول الآخر

علمتنا هذه الثورة كيف يتعامل الناس بعضهم مع بعض خصوصا في ظل الأحداث الطارئة وفي أوقات الأزمات فرأينا توحد القوى وتضافر الجهود من كل الفئات والفرق والأطياف على اختلاف الأفكار فكان الجميع يسعون لتحقيق الهدف العام لهم وهو دحر الفساد وقهر المفسدين فكانوا على قلب رجل واحد ، وهذا ما يقوم على أساسه المجتمع المسلم بمثاليته العالية في احتواء أبنائه والأفراد الذين يقوم عليهم فهو يتعامل مع كل فرد علي علته وفق المبادئ والقيم والمثل العليا للمجتمع ، فلا ضير أن تختلف في المجتمع الأفكار وتتباين الآراء وتتنوع الأجناس والعرقيات ولكن كل ذلك يحدث والمجتمع متحد مترابط وهذا ما أقام عليه رسول الله ﷺ أسس المجتمع المدني بعد الهجرة فكان في المدينة اليهود والأوس والخزرج والمهاجرين واجتمع إليهم هناك الحبشي بلال والرومي صهيب والفارسي سلمان فتعامل المسلمون مع الجميع فكانت المعاهدات التي تحكم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من يهود المدينة ومشركي المدينة والعلاقة البينية التي تحكم العلاقة بين المسلمين بعضهم مع بعض وكانت نموذجاً مثالياً رفيعاً في التعامل مع بعضهم البعض فانصهرت العصبيات وذابت الفوارق ولقد رأينا كيف ترك الأنصار بيوتهم وديارهم لفقراء المهاجرين وكيف تعامل المهاجرون مع أملاك الأنصار ببذل وسخاء من الأنصار وعفة وقناعة من المهاجرين فلم يبخل الأنصار بما أوتوا ولم تكن ممتلكات الأنصار لدي الهاجرين مطمعاً وإنما كانت مثالية بين الذين تبوءوا الدار والإيمان وأولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق

إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولقد تعايش بهذا المجتمع الذي كاد أن يفني نفسه بنفسه قبل إشراقة الإسلام عليه ، فكاد الأوس والخزرج أن يهلكا بما سال منهم من الدماء ومن تطاير الرقاب وتناثر الأشلاء ، ولكن عصمهم الله بفضله وكرمه ومن عليهم بنعمة قدوم الإسلام إليهم فآواهم الله وأيدهم بنصره ولقد ذابت فوارق ما كانت لتذوب ـ وإن أبيد أهلها ـ إلا ببركة هذا الدين الذي قضي علي الطبقية والانفصال المجتمعي ليتعايش الناس بعضهم مع بعض ولا يشعر أحد أنه أقل من غيره ، وهذا ما يجب أن يدركه الناس ويتعاملوا من خلاله ومع ذلك لا يسلم المجتمع من أمرين :

الأول : هو وجود الخلل .

الثاني : نوايا المغرضين الذين يسعون لتحقيق مكاسب فردية أو طائفية فلنر كيف عالج الإسلام هذه الأمور :

أ ـ (خطأ واعتراف)

هذا بلال ﷺ يجلس في جوار أبي ذر ﷺ وأبو ذر كان سيداً لغفار فيري بلالاً في جواره وقد كان أسمر البشرة وأمه كذلك فقال أبو ذر لبلال مازحاً : «يا ابن السوداء»فقام بلال مغضباً وذهب إلي رسول الله شاكياً وعند رسول الله يكتمل الخبر يأتي أبو ذر إلي مجلس رسول الله وبلال عنده فقال ﷺ لأبي ذر ﷺ : (أعيرته بأمه يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية) ، وهنا يظهر أثر التربية علي المجتمع فيدرك أبو ذر خطورة ما فعل وإن كان هذا يراه البعض شيئاً يسيراً ولكن الإسلام لا يريد أن يكون في المجتمع المسلم ما يعكر الصَفوَ ولو كان قليلا من الماء الراكد ، وفهم أبو ذر المراد وعلم المقصود فقام مسرعاً ووضع خده علي التراب وقال: « لا أرفع خدي من علي التراب حتى يطأه بلال بقدمه» .

إن هذا الاعتراف الصريح بالخلل ما كان ليحدث في زمن الجاهلية قبل الإسلام ، ولكن الإسلام علم الناس كيف يقبل أحدهم واقع ما عليه غيره وإن اختلف لونه أو تباين فكره فكل إنسان له مورده الذي يستقي منه زاد عقله ولكن الكل لهم هدف عام وهو ترابط المجتمع وتماسك أفراده،

لهذا رأينا في التاريخ الإسلامي ما فعله رسول الله ﷺ مع غير المسلمين ممن يتعايشون معه في بلد واحد، فلقد زارهم إذ مرضوا ولم يكن له عليهم إلا عهد الله ورسوله فإن أمضوه وإلا فحكم الله فيهم نافذ ولقد مات الرسولﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي ، إذن فلقد كانت هناك معاملة مع المسالمين من غير المسلمين الذين لا يكيدون لدين الله ورسوله وهذا ما أوحي به الله في التعامل مع هؤلاء فقال ربنا : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ الله يشير لنا إلي معاملة أهل الكتاب بأفضل المعاملة وليست مجرد معاملة حسنة فقط وإنما كما وردت ﴿أَحۡسَنُ﴾ ، وهذا ما فهمه أصحاب النبي الحبيب ﷺ ففي خلافة عمر يفتح عمرو بن العاص مصر وعَلِمَ أن من أُسس بناء المجتمع التي تعلمها أصحاب الرسول ﷺ من رسول الله أن يبدؤوا في تخطيط المجتمع بالمسجد حيث تبني العقيدة ويرتبط الناس بالله ، فلقد علموا وعلمنا من ورائهم أن لا صلاح لدنيا البشر إلا بصلاح دين الله عند البشر فأراد عمرو أن يبني مسجداً ووجد بيت امرأة عجوز مسيحية في جوار المسجد وهذا البيت يعوق حركة التوسعات المسجدية فساوموا المرأة علي بيتها فأبت فأمر عمرو أن يهدم البيت ويزاد به المسجد وتعوض المرأة ببيت بدل بيتها ولكن المرأة رفضت التعويض وأصرت علي بيتها ولكن لمن تشتكي والي مصر في الدولة الإسلامية ؟ فقيل لها : إلي عمر بن الخطاب خليفة المسلمين فسارعت المرأة بذاك ورفعت إلي عمر ﷺ شكواها وهناك يصدر الخليفة مرسوماً إلي عمرو بن العاص ﷺ بأن يهدم ما أُدخل إلي المسجد من بيت المرأة ويعيدوا للمرأة بناء بيتها في مكانه علي نفقة الدولة فلما رأت المرأة هذا علمت أن دين الله لا يقبل أن يظلم أحدٌ أحداً ولو كان لصالح مصلحة الوطن ولكن أن تقوم مصالح الوطن علي ظلم فهذا ما لا يرضاه الله ورسوله فشعرت المرأة بالأمان علي نفسها في كنف هذا الدين فدخلت في دين الله ﷻ .

ب ـ (براءة الدين من نوايا المغرضين)

إن الصورة التي أُلبست للدين أو التدين وظهر منها بـأن المسـلمين لا يقبلـون غيـرهم كأشخاص ولا كأفكار ، فهذا ما لا يقره واقع ولا يقـرره تـاريخ فالمسـلم الحـق يفهـم أن الدين يقبل أن يتعامل الناس بعضهم مع بعـض وإن اختلفـت وجهـات النظـر في الأفكـار والآراء أو تباينت الأجناس والعرقيات ، فالكل في مجتمع واحد يقرون مصلحة المجتمـع والوطن ولا يفرطون فيه لخلافات بين الأشخاص أوفى الأفكار كل ذلك مع الحفاظ عـلي الصبغة الإسلامية لقيم الدين الراسخة ومبادئه السامية التـي تنطبـع سـلوكاً عـلي أصـحابه فيراها الناس في الأفعال فضلا عن الأقوال، ويتخلي كل فرد عن شـعار الأنـا الـذي يهلكـه ومن تبعه إلي شعار نحن الذي يتداول الناس فيه الآراء ويقبل بعضهم بعضاً ويشعر بعضهم بالانتماء العريق لمجتمع تحكمه قيم ومبادئ سامية تستمد سموها من دين الله عـز وجـل فتسمو بسمو الدين.

فلكي نجني ثمار هذه الثورة المباركة لابد أن يـدرك الأطـراف الـذين تصـدروا لقيـادة مجتمعاتهم والأفراد الذين يعيشون في قلب هذه المجتمعات أنه لابد أن يصغي كل فرد أو طرف لغيره ويسمع ما يقال لعل فيه فائدة عظيمة تعـود بـالنفع عـلي الـبلاد والعبـاد ، فـإن حدث ذلك أدرك كل فرد ما له وما عليه وعلم مهمته التي كلف بها فيعيش من أجلها ولـن يبالى بما وراء ذلك من أحداث فلابد أن تتضافر الجهود وتتوحد الرؤى ويصبح الهـم همـا واحدا وهو رفعة البلاد وإسعاد العباد؛ وهذا ما سنقف عليه فى المبحث التالي إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

رابعًا واعتصموا

لكي نجني ثمار ثورتنا يجب أن تكون الثورة شاملة لا تقتصر علي الجانب السياسي فقط وإن كان هذا هو رمز انقلاب الحق علي الباطل ليدمغه ؛ فمع ذلك يجب أن تكون هناك ثورة في كل المجالات وفي كل الميادين من أجل إصلاح البلاد فالمجال العلمي والثقافي والتربوي والصناعي والاجتماعي والاقتصادي والعسكري وغير ذلك من المجالات الأخرى في حاجة إلي تصحيح وتقييم ، ويجب علي الغيورين ألا يغفلوا هذه المسارات فإن كانت هناك إصلاحات في الجانب السياسي فيجب أن تتزامن معها إصلاحات في شتي الميادين الأخرى ، ولكي يتم ذلك يجب أن ندرك هذا السؤال ونجيب عليه بكل وضوح وشفافية ..

من نحن ؟ وماذا نريد ؟ :

أنا أقول أننا شعب مصر الحر الذي رفض الإذلال والاستبداد والطغيان ونحن الثائرون علي الباطل والقائمون بالحق ونريد العدل في شتى الميادين ولكل البشر ونريد الأمن والاستقرار والشعور بالطمأنينة علي النفس والمال والولد والأهل ونريد حرية التعبير التي تكفل لكل إنسان حقه أن يقول ما يريد بدون تجريح أو إساءة إلي الشخصيات أو الهيئات ، وشعارنا في ذلك : (قُل ما تريد وعبر عن غضب ولكن لا تسئ إلي أحد) ، وكذلك يكون لكل إنسان الحق في حرية الحركة فيتحرك كيف يحب مع الحفاظ أيضا على حقوق الآخرين في الحركة والتعبير

نريد .... ونريد ....

نريد اختصارا : الرفعة لبلادنا في كل الميادين ؛

وإذا كان هذا الأخير هو الهدف فيجب أن ندرك ما نريد أن نفعله لتتوحد الرؤى وتتوحد الأهداف وإن اختلفت الاتجاهات ، فالتعصب للمذهبيات والأحزاب والهيئات أمرا سيئًا وليس في صالح الثورة في شيء ولا في صالح البلاد وإنما قد يكون هو القشة التي قد تقسم ظهر الثائرين ، فالعصبية منتنة قبيحة فمن تمسك بها فاحت ريحه وتدب بسببها النزاعات والفرقة بين الناس .

والنزاع والفرقة منهي عنهما في القرآن فقال تعالي : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال] ، فمجرد النزاع في الصف المسلم جعله الله من أسباب الفشل لأن العدو فاغر فاه ينتظر لحظة كهذه ليشتم ريحها فيذهب بها كل مذهب والدنيا كلها تنتظر أن يظهر من بين الثوار من يشق عصاهم ليضحكوا علي المسلمين وهم يفشلون.

ولذلك إذا أردنا لأنفسنا نجاحا فيجب علينا أن نكون يدًا واحدة حتى النهاية كما كنا يد واحدة في البداية فلم يستطع النظام الفاسد السابق أن يشق عصى الثائرين في ثورتهم لأن الكل توحد تحت شعار واحد:

(الشعب يريد إسقاط النظام) ؛

الشعب يريد ، كلمة نطق بها الملاين في صوت واحد ولا أشك لحظة أن هناك رجل أو امرأة أو طفل ممن كانوا في ميادين الثورة قد خالف هذا الشعار ولقد كانت كلمة (ارحل) تهتز لها الجدران الصماء ،

فلما توحدت الكلمة ولم يجد النظام الفاسد السابق بُد من ذلك ضعف بجبروته أمام شعب أعزل لا يملك إلا عزيمة قوية تدفعه للإصرار علي مواقفه مهما قدم لها من ثمن ولقد كان الثمن غاليا ، ولكن الشعب استهان به فقدمه ليحقق ما يريد !

ولقد كان للشعب ما أراد !

فرحل النظام حين ما توحدت الكلمة فما بالنا لو توحدت بعد ذلك كل القوى واتضحت الأهداف وتضافرت كل الجهود لتحقيق الغايات ، فليس المجال مجال مكاسب شخصية ولكن المكسب الكبير يكون يوم أن نرى مصر تقود العالم.

وإن كان الكثير من الغيورين يقول: بأن الثورة قد نجحت فإنني أرى بأن الثورة مازالت في مخاضها وإن كنا قد احتفلنا بالنجاح مبكرا إلا أننا يجب أن نعلم أن مصر التي في قلوبنا يجب أن نصنع لها تاريخ فالثورة إن كانت نهاية لرموز الفساد إلا أنها يجب أن تكون بداية لمرحلة جديدة من البناء فيجب أن نبي لمصر مجدها من جديد ولنعلم أن إزاحة ركام من الفساد تحتاج منا إلي جهد كثير ويجب أن ندرك أنه لازال للفساد قواعد ثابتة لم يتصدع بنيانها بعد ولم تتأثر جدرانها لأنهم فاسدون في الخفاء لا يعلم بهم أحدا ولا يلقي لهم بال وهؤلاء أشد علي البلاد من الفاسدين في العلن لأنهم كالسوس ينخر في العظام وعلاجه يحتاج إلي جهد كي يصل الدواء إلي موطن الداء ليقضي عليه ،

وأعتقد أن هؤلاء وأمثالهم لن يتركوا قافلة الثائرين تسير بل سيظل العواء حولها عاليا ليشوش على موكب الحق فيها وقد يكون هذا الضجيج الذي قام به أولئك الأذناب من ذيول النظام السابق هو آخر صوت يدوى لهم في الدنيا قبل أن يلفظوا آخر أنفاسهم وهم على يقين بأن أيام أسلافهم لن تعود ، إلا أنهم يعلمون أنهم كانوا في زمن النظام السابق أصحاب نفوذ وسلطان فلن يقبلوا أن يعيشوا كعامة الشعب يأكلون مما يأكلون ويشربون مما يشربون ، فسيستغلون كل نفوذ متبقٍ لهم من أجل إعاقة السائرين نحو الإصلاح والتغيير ،وسنجد منهم التهديد والوعيد بما يفسد البلاد ويقضى على مصالح العباد وسيظل هذا تهديدا قد يقع موقع التنفيذ وقد لا يتعدى كلمات تقال ، وهم على يقين كذلك بأن الحق سيبقى في ظهور ، إلا إذا نام أهل الحق وغفلوا عنه وهذه الغفلة هي مالا يجب أن تحدث في أرض الرباط ،ولنعلم أن بلادنا تحتاج إلي أبناءها الأبرار في كل الميادين فالقوة السياسية وحدها ليست كافية ،

وإنما نريد لمصر (أيها الثائرون الأبرار) رفعة في كل ميادينها في العلم والاجتماع والثقافة والاقتصاد والدين والسياسة والجيش وغير ذلك وهذا الذي أقوله ليس هو دور المؤسسات الحكومية وحدها فقط وإنما أدعو أبناء النيل الذين شربوا من مائه العذب وأبناء مصر الذين تربوا في أحضانها من رجال المال والأعمال وأصحاب المصانع والشركات أن ينشئوا مراكز بحثية في جميع المجالات والتخصصات ويدعموها بما يستطيعون وليعلموا أنه لن ينقص مال من صدقة كما علمنا رسول الله ﷺ .

إننا نريد لأمتنا أن تبقي قوية لنقوى بقوتها فلو كان الاقتصاد قويا لسعد أصحاب المال والأعمال بقوته لأن المال ينمو مع الاستقرار ولن يقوى الاقتصاد إلي إذا قوى العلم ، فالعلماء هم من يمدون أهل الاقتصاد بالنظريات التي تنظم لهم التقدم العلمي والتقني والأبحاث التي من شأنها أن توفر المال وتزيد في الأرباح لذلك فإنني أرى : أن أصحاب الأموال يجب أن يكون لهم دور، وكذلك المتطوعون من شباب الخير في أمتنا ـ فلن تعدم أمتنا منهم فلا تزال في شبابنا بقية خير ـ يجب أن يكون لهم دور في هذا التقدم العلمي والتقني للبلاد في كل ميدان من الميادين .

كل ذلك يراه الناس حلما جميلا وأراه أنا واقعا بشرط أن نكون علي قلب رجل واحد ونفكر في رفعة البلاد ونفع العباد وسيأتي بعد ذلك يوم يقول الإنسان فيه عن قناعة ثابتة وباعتزاز شديد (لو لم أكن مصريا لتمنيت أن أكون مصريا) ، وحتى يحدث ذلك فإنني أقترح بأن تشكل لجنة تسمي لجنة الحكماء في جميع التخصصات يقوم الحكماء فيها بوضع رؤية لمستقبل مصر في الداخل والخارج وفق خطة زمنية ممنهجة ومقسمة علي مراحل ويناقش فيها المستشارين والخبراء ويَخْلُصُوا بعد ذلك بما يسمي الخطة الإستراتيجية وتوضع هذه الخطة علي مكاتب المسئولين ليحاسبوا عما قدموا وما لم يقدموا منها وتتم دراسة أسباب كل ظاهرة ومدي التقدم فيها ومدي الركود وعوامل البناء ومعاول الهدم .

إنني من حقي الآن أن أكتب عن رؤيتي لمصر خلال خمسين سنة مقبلة :

فإنني أتصور مصر سياسيا هي رائدة العالم ،

وأتصور مصر عسكريا هي لا يعلو صوت فوق صوتها إلا صوت الحق،

وأتصور مصر علميا هي قبلة الدنيا ؛ الكل يأتي إليها لينهل من بحور المعرفة والعلم فيها ،

وأتصور مصر ثقافيا هي العقل المفكر للعالم كله ،

وأتصور مصر اقتصاديا هي أغني دول العالم وأقوى اقتصاد فيه ،

وأتصور مصر اجتماعيا هي أفضل مجتمع يحافظ علي القيم والمبادئ السامية التي يحكمها دين الله وتشريعه .

إنني قد أقول اليوم عجبا وقد أحلم اليوم أحلام اليقظة ولكن لو توحدت كل الأحزاب والهيئات وتضافرت جهودها لكان هذا الحلم حقيقة وواقعا ولكان هذا نعم العجب حيث يتحدث الناس بمصر ويضربون بها الأمثال .

ولكي يحدث ذلك يجب علينا أن نتحرك جميعا بإيجابية عالية تدفعنا إلي التفاعل مع قضايا أمتنا ومجتمعاتنا وهذا ما سنقف عليه في المبحث القادم إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

خامساً الإيجابية

1 - **معنى الإيجابية** :

هي قوة ذاتية تدفع الفرد إلي القيام بعمل معين تجاه قضية أو حدث تفاعل معه .

وأعنى بهذا ألا يكون الفرد سلبيا تجاه الأحداث المتغايرة فلا يترك الأخذ بالأسباب وعليه أن يتحرك متفاعلا مع الحدث ففي الحركة تغيير وأن يحرك غيره ويفعلهم وهو على يقين بقضيته التي تفاعل بها ومع ذلك فهو ليس مسئولا عن النتائج بل هو مطالب بالأخذ بالأسباب فقط أما نتائج الأسباب فهي في علم الله وحده وحسبه من ذلك (....إن عليك إلا البلاغ ....) ، ولابد للإنسان الايجابي من سلامة اعتقاده وإيمانه بقضيته التي يتحرك بها ويتفاعل معها ، وهذا الاعتقاد القوي بحدث معين يدفع الفرد إلي الحركة الدائمة التي لا تنتهي وتتواصل ولا تنقطع ، فلو تأملت ما ورد عن النبي ﷺ من قوله: « ... **مضي عهد النوم** ... » لعلمت أنه ﷺ كان المعلم الأول لمعني الايجابية والتفاعل مع القضية التي شغلت عليه كل حياته ولو قارنت ذلك بحديث القرآن عن الطبيعة النفسية في داخل قلب رسول الله ﷺ ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ لعلمت أيضاً كيف كانت لرسول الله ﷺهمة متوقدة جعلته شديد الحرص علي إيمان ولو رجل واحد من الناس ، وحينما تموت من غير المسلمين نفس كان الحزن الشديد يظهر علي وجه النبي الكريم ﷺ ويعلن للجميع سبب هذا الحزن الظاهر عليه ويقول : «نسمة تفلتت مني إلي النار » معناه

بهذه الروح العالية تحرك الحبيب ﷺ بإيجابية شديدة فاعلة ومؤثرة في مجتمعه، فكان يتحرك مع كل من يدعو إلي خير حتى قبل البعثة ، لم يفصل نفسه عن قضايا مجتمعه ولم يعش يوماً سلبياً برغم ما تحدث القرآن عنه به من اليُتم والفقر ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ إلا أن ذلك لم يُقعد النبي ﷺ قبل البعثة عن التفاعل بقضايا مجتمعه ، فكان في حرب الفجار له دور وكان في حلف الفضول في دار بن جدعان من المؤسسين وكان في وضع الحجر الأسود بمثابة طوق النجاة لبطون مكة التي أعلنت الحرب لذلك .

و لو تأملت سير النبيين السابقين لرسول الله ﷺ لعلمت أنهم كانوا في الايجابية مثالاً يحتذي ، ولو قرأت حديث القرآن عن سيدنا نوح عليه السلام لعلمت كيف يكون الرجل إذا تحمَّل حملا ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠﴾ [نوح].

فهو يدعو في النهار وفي الليل وفي السر والعلانية ثم الترغيب بثواب العمل الصالح

﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ [نوح].

هذا التفاعل من الداعي بما يحيط به من أحداث له دوافع تحركه وتجعله من أكثر المتفاعلين وأشدهم حماساً .

2ـ من دوافع الايجابية :

وللإيجابية دوافع عديدة تدفع صاحبها إلى الحركة الدائمة في سبيل الوصول إلى ما يطمح إليه وما يتمناه سواء كانت أمانيه لنفسه أو لدينه وأمته ولذا على قدر عظم الدافع تكون الحركة الفاعلة والمؤثرة في النفس والناس وعلى قدر الثواب والأجر الأخروي الذي يعود على الإنسان الإيجابي تهون عنده الصعاب وتعظم في نفسه التضحيات لنيل ما يرجوه ومن هذه الدوافع :

أ- حسن القصد والنية :

قال ﷺ: « **إنما الإعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلي الله ورسوله فهجرته إلي الله ورسوله ومن كانت هجرته إلي دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلي ما هاجر إليه** » فحين يستحضر الإنسان ثواب ما يعمل ويستحضر نية لمن يعمل ويعلم أنه يعمل العمل لله عز وجل ويجاهد نيته في ذلك فإن الله يعظم له أجراً لذلك قالوا :

«**رُبَّ عمل صغير تعظمه النية ورب عمل عظيم تحقره النية** ».

فمن صحت نيته وحسن قصده اتضحت أهدافه وسمت أمانيه وكانت له نفسًا تتطلع إلى ما يرجوه وتحقيق غاياته وأهدافه ولذا كان هذا دافعا للحركة الإيجابية

ب ـ التطلع إلي الهدف والغاية:

فالمسلم الإيجابي له هدف في حياته ووجوده وهو تحقيق خلافة الله في الأرض، فالخلافة هي هدف مقصود لذاته لأن الله خلق الإنسان لتحقيق ذلك ، فمن علم مراد الله منه وأنه مطالب أن يرضي الله بذلك يجب عليه أن يسعي لتحقيق غايته من وراء هدفه ، فالإنسان دائماً في صراع بين نوازع الخير والشر وهو مطالب أن يسارع من أجل أن يرضي الله عنه كما قال ربنا :

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾

لذلك تري إيجابية أصحاب الرسول الكريم وتفاعلهم مع نداء النبي ﷺ لهم بالإنفاق في غزوة العسرة على تفاوتهم في إيجابية العطاء برغم أنهم صحابة كرام ، فهذا عمر يسارع في إرضاء الله بنصف ماله ويجيب الرسولﷺ قائلاً : « **أبقيت لهم مثل هذا يا رسول الله**» ، وأبو بكر يأتي بكل ما يملك ويجيب الرسول ﷺ قائلاً : «**أبقيت لهم الله ورسوله**» ، وعثمان يجهز ثلث الجيش حتى ما ضره ما فعل كما ورد أن النبي ﷺقال في ذلك :

«... ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ....».

في قلب هذا الحدث العظيم والسباق المثير من أصحاب النبيﷺ علي الرضا تتجلي الايجابية في تفاعل الصحابة مع الحدث ولو بالنفقة اليسيرة ، فهذا أبو عقيل استأجر نفسه مقابل صاع من شعير ويأتي به إلي رسول الله ﷺوالنبي يقبل القليل كما قبل الكثير ويدعو لأبي عقيل كما دعا لعمر وأبي بكر وعثمان ، ويعلن ذلك ﷺ علي ملأ الناس .

«اللهم بارك لنا في صاع أبي عقيل .... ».

فمن يتطلع إلى هدف رفيع وغاية سامية يجب أن يرقى بنفسه إلى ما يتطلع إليه فهو في حركة دائمة مدروسة واضحة المعالم ومع ذلك فهو يخشى المخاطر التي تعترض طريقه لرفعة أمته ؛ فهو يعمل على حذر مما يعيق سير المصلحين كما قال ربنا ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾ .

ج ـ إدراك الخطر الذي يحيط بالأمة

قد أخبرنا الله في القرآن الكريم أن هناك عدو ظاهر فهو يتربص بالأمة الدوائر من كل حدب وصوب فهو يكاد يتميز من الغيظ ، كما قال ربنا تبارك وتعالي: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، وقد حذر الله من دهائهم ومهادنتهم مع المسلمين فهم قوم نقض ونكث للعهود: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ وهناك عدو يظهر خلاف ما يبطن فهو يضمر في نفسه العداء لكل مسلم وما يضمره من عداء أكثر مما يخفيه ولا يظهره كما قال ربنا: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، فقد جاء في مقال لكبير المبشرين الذين يغزون المسلمين في ديارهم بسلاح اللين بدل سلاح الحرب وهو في مؤتمر مع المبشرين المتواجدين في الشرق الأوسط ... قال لهم :

(إن المهمة التي انتدبتكم المسيحية لأجلها ليست إخراج المسلم من الإسلام وإدخاله في المسيحية فإن ذلك تشريف له وإنما هي إخراج المسلم من الإسلام وتركه بلا ديانة) «من كتاب قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدوا أهله» وهذا لون من العداء الخفي وهو أشد من سابقيه .

فإذا أدرك المسلم هذا الخطر الذي يحيك في صدور الأعداء مما أظهره القرآن وكذلك مما أظهرته مقالاتهم أنفسهم ، فإن ذلك حري بالمسلم أن تكون له حركة إيجابية تدفعه إلي التحرك في مواجهة هذا الخطر القادم والمنتظر ، فلو علم كل فرد ذلك وقال لنفسه: «إذا وقع الخطر فأول المتضررين هو أنا » لتغيرا لحال ولتيقظت الأمة دون الحاجة إلي منبهات خارجية أو أصوات صاخبة ، وقد حث الله المسلمين علي أخذ الحيطة والحذر قبل النفير والجهاد فقال: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ .

فمن أدرك أن الشباب المسلم اليوم يواجه خطراً محدقاً بعيداً عن خطر السلاح وهو خطر التغريب الذي يعاني منه شبابنا – فالنظرة المتأملة في الغرب تجعل لونه براقاً أمام الشباب الذي يواجه البطالة في بلده بالخروج من نفقها المظلم إلي أعماق البحار السوداء في هجرة مأسوية قد تكون نهاية سواد البحار فيها ظلمة القبور ويتحطم حلم السعادة علي صخرات الأمواج العاتية هذا فيمن يبحث عنها في الخارج ، أما الباحثون عنها في الداخل فتأتيهم الصورة المضللة من الغرب بأن التمدن والتقدم والتحضر هو في قصات الشعر والبناطيل (المرقعة والملزقة والمحزقة والممزقة) والتخنث ومعاكسة الفتيات أو التصادق معهن كما يسمونه «البوي فرند » أو «الجيرل فرند» ورُوِّج لذلك جيداً عن طريق الإعلام المفتوح من الأغاني الصاخبة والماجنة والمختلطة والأفلام الإباحية التي تفسد قيم الدين ومبادئه وكذلك تفسد علينا شبابنا الذين هم زهرة أمتنا – فمن علم ذلك وتأمل قد يجد نفسه أول المضارين إن لم يتفاعل ويتحرك في مواجهة هذا الخطر الجارف بأي لون من ألوانه ، فقد يكون الضحية شاب من بيته أو من بيت صديقه أو قريبه وساعتها لن يجدي البكاء على اللبن المسكوب بعدما تلطخ بأوحال الثري .

فالحركة الايجابية هنا توجب الحفاظ علي الأمة في كل حال من أحوالها ووجهة من توجهاتها ، والحفاظ علي شبابها وفتياتها وتحصينهم بقيم الإسلام ومبادئه الغالية السامية كما كان السابقون من سلف هذه الأمة فقال الشاعر فيهم :

شـــباب ذللـــــوا ســــبل المعـــــالي	ومـــا عرفـــوا ســـوي الإســـلام دينـــاً
`تعهــــــدهم فأنــــــبتهم نبـــــاتاً	كريمـــــاً طـــاب في الـــدنيا غصـــوناً
إن جـــن المســـاء فـــلا تـــراهم	مــــن الإشـــفاق إلا ســـاجد ينـــا
وحِـــين الـــوغى كـــانوا كمـــاة	يـــدكون المعاقــــل والحصونـــــا
هكـــذا أخـــرج الإســـلام قـــومي	شـــباباً حـــراً مخلصـــاً أمينـــــاً

فمن أدرك هذه المخاطر وغيرها مما أعلن وخفي فإنه ولا شك سيواصل عمل الليل بعمل في النهار وستهون عنده كل الصعاب حين يعلم ما ينتظره من بُشْرياتِ حسن العاقبة ؛ فسيواجِه الخطر بصبر وجلد لأنه يعلم أن له عند ربه الحسنى فهو يتطلع إليها بشوق بالغ .

د ـ استشعار حسن العاقبة

من الدوافع التي تدفع الفرد للتحرك مع الإحداث المتغايرة التي تحيط بأمته ويتعامل معها بإيجابية شديدة هو أن يشعر الفرد بقيمة الحركة التي يتحركها.

والعمل الذي يعمله ويشعر بقيمة الفائدة التي تعود عليه أو علي وطنه أو دينه وأمته من وراء ما يعمل ، فلكل مجتهد أجر على قدر اجتهاده ونيته وعلي ما قدم من عمل نافع لدينه وأمته ، لذلك كان مع المسلمين موقعة حاسمة كان العدو فيها قويا واشتد القتال وحَميَ الوطيس فقام رجل من بين الناس وأشهر سيفه واخترق الصفوف فنادي عليه المشفقون من العواقب وقالوا له: يوشك أن تموت فقال : لا ضير ويُفتَح للمسلمين .

من هنا نفهم أنه ليست المشكلة في أن تموت ولكن : ماذا سيحدث بعد موتك ؟، هل بموتك سيُفتَح للمسلمين ؟ أم سيُفتَح عليهم ؟! وماذا ستنتظر أنت بعد الموت ؟ إن من استشعر الجنة وحسن قصده، استعذب في سبيلها كل مر وهان في سبيلها كل صعب ، لذلك قالوا: (من عرف قدر ما يأخذ هان عليه قدر ما يعطى) ، فمن الناس من سمت همته إلي ما هو أبعد من الجنة فتاقت نفسه إلي النظر إلي وجه الله الكريم ، ومن هؤلاء عبد الله بن حرام حين نال ما تمنى واستمتع بكلام الله له هان عنده الموت لما حدثه الله ﷻ بعد موته فتمني أن يعود إلي الدنيا فيقتل ثم يعود فيقتل لما رأي من حلاوة الحديث مع الكبير المتعال سبحانه وتعالي .

فمن استشعر من وراء عمله الأجر والثواب وجنة الله ﷻ ومرضاة ربه والنظر إلي وجهه الكريم المتعال ، فإن نفسه تنشط إلي كل حدث وتسمو فوق كل صغيرة وتعلو فوق كل الصعاب حتى تصل إلي ما تريد، سيدنا خُبيب لا يبالى بما يحدث معه ما دام في ذات الله فأنشد يقول :

ولست أبالي حين أُقتَل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي

ما لم يبالى به خبيب هو جرأة عدوه عليه فهانت الدنيا كلها عنده لأنه ينتظر ما وراء الدنيا من حسن العاقبة والتضحية من أجل الله ورسوله ، وهذا ما يجب أن يحياه كل مسلم من واقع مسئوليته عن دينه وأمته ووطنه وبلاده فالكل مسئول عن سلامة وأمن البلاد والعباد ومن يعي هذه المسئولية ويدرك تبعاتها فستجده يعمل ليلا ونهارا لعله ينجوا ، ولذا كان من دوافع الإيجابية أن يدرك كل فرد حدود مسؤولياته.

هـ ـ استشعار المسئولية

من الإيجابية أن يدرك المسلم أنه مسئول عن بلاده ووطنه ودينه وأمته وماذا قدم لهم ؟ وماذا عمل من أجلهم ؟ حري به أن يعد للسؤال إجابة ،فهو يتحرك بإيجابية عالية ليرشد الضال وينبه الغافل ويوقظ النائم ويداوى المريض ويواسى المصاب ويطمئن على الغائب ويأمن عنده الحاضر ؛ فالنملة لها مع المسئولية قصة عجيبة :

و ـ (نملة سليمان وفقه المسئولية)

عندما تولت مسئولية جنسها من النمل وخرج النمل تحت إمرتها بحثاً عن الطعام غير أنها لم تبحث لنفسها عن الطعام فقط بل كانت تراقب تحركات النمل وسيرهم وفوجئت النملة بسيدنا سليمان يقدم جنده ليمر من مستعمرة النمل هذه والنمل كله خارج بيوته فنادت علي جنسها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ [النمل:18] .

ز ـ (حدود المسئولية ومؤمن آل ياسين)

إن سلامة المجتمع عامة والدعاة إلي الله عز وجل خاصة مسئولية عظيمة شعر بها مؤمن آل ياسين لما رأي عناد قومه مع الرسل الثلاثة خاف علي الرسل من قومه فتكبد عناء المسير إلي قومه ليدركهم قبل أن يبطشوا بهم والقرآن يصور هذا المشهد ومدي حرص الرجل علي سلامة الدعاة إلي الله فقال الله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يس].

و في قصة موسي عليه السلام رجل آخر أدرك ما يُحاك لموسي عليه السلام من مؤامرات القتل ، فانطلق يسعي هو الأخر إلي موسي عليه السلام ليدله علي سبيل النجاة ويحافظ بذلك علي داعية من الدعاة إلي الله ﷻ، فقال ربنا في ذلك: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص].

و لما حدثت حروب الردة تخاذل بعض الناس ورأوا أن ينحصر المسلمون في المدينة المنورة حالهم ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ لكن أبا بكر كان له رأي آخر فأعلن للجميع كلمات مشهورة :

1ـ أينقص الدين وأنا حي.

2ـ لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه رسول الله لقاتلتهم عليه بالسيف ما استمسك السيف بيدي أو تنفرد سالفتي .

هكذا ظهر أبو بكر الرجل الضعيف البنية الكثير البكاء هذا المظهر بكامل قوته ورباطة جأشه ، ثار ثورة الأسد وفار فوران البركان الغاضب ، فلم تلن له عزيمة وإنما جمع الله علي يديه دولة الإسلام التي عقد لواءها رسول الله ﷺ فلم ينسَ التاريخ هذا الموقف لأبي بكر وكيف ينسي التاريخ موقفاً خضعت فيه الدنيا لسلطان الإسلام بعزيمة رجل واحد من أمة الإسلام « الصديق أبو بكر » وكأنه يقول إن المواقف هي مصنع الرجال أو أن الرجال هم من يصنعون المواقف وقد يكون هناك رجل بأمة ، وكأنه أبو بكر ؛ أبو بكر في هذا الموقف على يقين أن إيجابيته هذه ستكون لها عواقب وتوابع لابد أن يحسب لها حسابها ويقدر لها قدرها ويتهيأ لذلك نفسيا ومعنويا ويدرك ما يجب أن يتعامل به مع كل موقف على حده ويجيد فن استقبال هذه التوابع التي لابد منها والتعامل معها هذا ما سنجتهد ببيانه في المبحث التالي :

3- من توابع الايجابية

كل حركة إيجابية لها توابع تتبعها وهي ملازمة لها ومن هذه التوابع ما يلي :

أ- درء المفاسد

من سمات الفرد الإيجابي بطبعه ألا يقبل الفساد ولا المفسدين فكيف ولو كان ثائرا على الفساد ، فالأولى إنكاره لما يفسد البلاد والعباد فهو يفعل ذلك بدافع فطرى أنه لا يقبله ودافع إيماني لأنه يرجوا ما عند الله من خير ومثوبة قال ﷺ : «**طوبى لمن كان مغلاقا للشر.....**» ففساد القليل من الناس يفسد العامة منهم ويلحق الضرر بسائر المجتمع كما قال ربنا : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

و الفساد في ذاته يبغضه الله عز وجل وكذلك المفسدون بعيدون كل البعد عن هذا الحب الرباني ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ فمن الواجب علي المسلم أن ينشط في مواجهة الفساد والمفسدين الذين يبغضهم رب العالمين عز وجل خاصة ولو علم ما وراء هذه المواجهة من ثواب عظيم ينتفع به الفرد في آخرته قبل أن ينتفع المجتمع بذلك في دينه ودنياه.

و إن هذه الحركة الايجابية لازمة وضرورية للمجتمع خاصة إذا عم في المجتمع ما أخبر به ربنا تبارك وتعالي بقوله : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [الروم].

فمن يتحرك في مواجهة هذا الفساد يحفظه الله من الفساد والمفسدين ولعلك تفهم هذا من قول ربنا : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأعراف] وتأمل بعد ذلك العاقبة التي نزلت بهم أجمعين .

و لذا فإن الله أمر في كتابه أن تنشط أمة من الناس للتصدي لمن يخالفون أمر الله ورسوله ، فإن ظهور الفساد في مخالفة أمر الله ورسوله فقال تعالي: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ وقال تعالي : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾.

وقد أعلي الله شأن الذين واجهوا الفساد والمفسدين في الأرض وذكر قصصهم في القرآن الكريم ليتعبد الناس بهذا القصص الايجابي إلي الله عز وجل وهم يتلون كتابه،

فذكر الله في القرآن قصة رجل من آل فرعون يكتم إيمانه، ومع ذلك يتصدي للفاسدين أياً كانت قوتهم وبطشهم ويعلن لهم علي الملأ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴾.

و يبقي الرجل بهمة عالية يدفع الظلم عن سيدنا موسي عليه السلام بكل حيلة وذكر الله لنا ذلك في القرآن ليكون لنا فيه عظة وعبرة .

و لا يتوقف العطاء والتفاعل مع قضايا المجتمع عند الكبار فقط وإنما يتحرك بإيجابية فاعلة تؤثر في الناس بحماستها الملتهبة كل من أدرك الهدف ووضحت عنده الغاية وأبصر الطريق وعرف الله عز وجل حق المعرفة فإنه ينطلق بذلك وهَمُّه أن يُعَرِّفَ الناس بالله كما عرفه ؛ ويذيقهم حلاوة هذه المعرفة كما تذوق هو حلاوتها وليس ذلك حكرا على أحد وإنما المسئولية مشتركة بين الرجال والنساء والكبار والصغار الكل في المسئولية المجتمعية سواء فالذي قتل أبا جهل غلامان صغيران هما معاذ ومعوذ ابنا عفراء ، والذي قطع رأس أبى جهل هو عبدا لله بن مسعود والذي دفع الغلامين إلى ذلك هي الأم بتربيتها السليمة الصحيحة لأبنائها فهي مدرسة التربية لجيل النصر الذي ننشده ، فمهما كان حجم الإنسان في نظر الناس صغيرا فلا ضير، فإنما يكبر ويتجاوز سنه الصغير ويتخطى بها حدود الرجال بمواقفه وهمته وإيجابيته إذا تجاوب مع قضايا عصره وحمل هم أمته .

وصدق من قال : إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام.

ودرء المفاسد هذا أمر ضروري في الدين بأي وسيلة من الوسائل كانت وإنما ينهض إلي هذا العمل كل فرد حسب إمكانياته وموقعه وقدراته ومسئولياته ، فمن علم أنه قد يصاب بعدوى الفساد كما يصاب به غيره ويبتلي به كما ابتلي به من نسأل الله لنا ولهم المعافاة فإن الواجب يحتم عليه أن ينهض لمواجهته .

و السنة النبوية وسيرة الحبيب محمدﷺ مليئة بما حذر منه الرسول ﷺ مما هو من مظاهر الفساد التي قد يبتلي بها أي مجتمع ، فتري وتسمع الحبيب محمد ﷺ وهو يحذر من عاقبة الغش فيقول : « **من غشنا فليس منا ...**» وينهي عن الرشوة فيقول ﷺ : « **لعن الله المرتشي والراشي** » وينهي عن الزنا والسرقة « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ....**» ؛

هذه جملة من الأحاديث وغيرها تفتح الباب أمام الناشطين في نصرة الحق والقضاء علي الفساد والمفسدين.

لذلك يجب علي كل من تصدي للمسئولية خاصة وباقي المجتمع عامة أن يقتدوا بالحبيب محمد ﷺ في مواجهة الفساد وإلا فإن المجتمع كله سيبتلي ويفشو فيه المرض ولا يبقي أمام الناس إلا أن ينطقوا بما حذر الله منه: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ ﴾. وقد تتعذر النجاة إلا ما رحم الله.

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً في مواجهة المفسدين الذين يتجاوزون حدود الله عز وجل روى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في كتاب الشركة من صحيحه: (باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه) من حديث النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أرادوا هلكوا جَمِيعاً، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْ جميعًا** ».

فالواجب علي كل غيور أن ينشط ويتعامل بإيجابية فاعلة مع أحداث المجتمع الذي يحيا فيه حتى ينجوا وينجو معه مجتمعه .

2ـ الابتلاء:

لقد جعل الله الابتلاء سنة في خلقه يمحصهم به فيرفع به من يشاء ويضع من يشاء لذلك قال ربنا : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

فكل من سلك طريق الإيمان وتحرك بإيجابية ولم يكن سلبيا تجاه ما يحدث من أحداث فسيبتلي علي قدر إيمانه لذلك ورد فيما رواه الترمذي عَنْ سَعْد بن أبي وقاص ﷺ قَالَ : « **قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قَالَ : الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فحينما يتحرك الفرد في صفوف مجتمع مثقل بالأمراض المجتمعية والمفاسد المزرية فإنه لا شك سيواجه المحن والصعاب من أصحاب هذه الأمراض خاصة في زمان يكابر فيه المريض ويظن نفسه أفضل من الأصحاء ، فلا شك أن يسمع ـ كل من اختلط بالعمل العام مع الناس ـ ما يكره سماعه ويناله من الإيذاء في جسده ما يؤلمه ويؤذيه نفسياً وجسدياً لأنه أصاب جراح الناس فلابد أن يجرح ، قد تلتئم جراح مرضاه ويبقي جرحه هو نازفاً ، ولكن لا يحزنه نزف جراحه لأنه كلما نزف كلما زادت الحسنات ورفعت الدرجات ، والله سبحانه وتعالي يبين لنا أن البلاء قد يكون بالإيذاء الحسي ؛ وقد يكون بالإيذاء المعنوي فقال تعالي : ﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا ﴾ فالبلاء السمعي لا يقل عن البلاء الجسدي كلاهما من البلاء الذي يجب علي كل من يتفاعل مع قضايا أمته أن يصبر عليه ويقوي علي تحمله ،

وله في ذلك مثل وأسوة برسول الله ﷺ فقد أوذي في نفسه في كل شيء ، سمع ما يكره ونسب إليه ما ليس فيه فقالوا علي الرسول الكريم ساحر ومجنون وكاهن وغير ذلك مما تنزه عنه ﷺ وأصيب في جسده بكثير من الأذى فقد أُدمِيَت قدماه وشج وجهه وكسرت رباعية أسنانه ودُسّ له السُّم في الطعام كل ذلك لأنه يدعو الناس إلي الله الواحد .

إن أي إنسان يسلك مسلك الرسول الكريم ويتحرك ليتفاعل مع الناس بقضاياهم ويفعلهم بها ، فلابد أن يناله قسطه من البلاء علي قدر حركته وإيمانه ، فليكن الزاد هو قوله تعالى :

﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ وليكن الحال « اللهم أهدِ قومي فإنهم لا يعلمون » ولتكن المهمة ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ وليكن الهدف «عسي أن يخرج الله من ظهورهم من يقول لا إله إلا الله » ولتكن الغاية ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ فمن كان هذا حاله لا يضره ما حدث مهما كانت العواقب حتى يقضي الله أمره كما وجه النبي ﷺ خباب حينما طلب الُّنصرة ولو بدعوة ، فكانت بشريات النصر بين طيات البلاء .

* ـ (بشارة التغيير مع شدة البلاء)

فقد قال خباب رضوان الله عليه كما جاء عنه قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بُردةً له في ظل الكعبة ـ فقلنا : ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تدعو لنا ؟ ! فقال :« **قد كان مَن قبلكم يُؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها فيُؤتى بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل بنصفين ويُمشط بأمشاط الحديد فيما دون عظمه ولحمه فما يَصرِفُهُ ذلك عن دينه والله لَيَتِمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**» صححه الألباني .

فالإنسان الإيجابي الذي يطمح إلى رفعة نفسه وموطنه وأمته لا بد أن يستعد لأن يناله قسط من البلاء يقدمه ضريبة علي تفاعله بقضايا أمته فليستعن عليها بالصبر وقوة الإيمان وتذكر سيرا لسابقين الذين ثبتوا علي الدرب حتى ماتوا علي الحق وهم يقدمون أرواحهم رخيصة لله كي تسعد بهم شعوبهم وأمتهم ، ولكي يحدث هذا يجب أن تكون لهم همة عالية تدفع النفس إلى الحركة الدائمة والمتوازنة من أجل رفعة البلاد والعباد وهذا ما سنتناوله في المبحث التالي.

والله الموفق والمعين .

سادساً علو الهمة

إن الذي ينهض لحمل مسئولية الأمة كاملة «علي أي صعيد من الأصعدة أيا كان » أو في أي درجة من المسئولية كان ، يلزمه الواجب أن يكون ذا همة عالية فتكون له نفس أبية لا ترضي لأمتها بصغائر الأمور ولا أراذلها وهذا ما دفع الثوار الكرماء للخروج من قماقم القهر ليرفعوا رؤوسهم عالية طلبا للعزة التي افتقدوها رِدْحا من الزمن فتعلم العالم منا كيف تكون الثورات وتعلموا من ثقافة التظاهر وآدابه وعلموا أن في بلادنا حضارة راقية تنم عن فكر مستنير يستمد قوته من التشريع الرباني الذي أرسى دعائم الأخلاق بين الأمم والشعوب فضلا عن وجودها بين الأفراد والجماعات وإذا ما حدث ذلك فلابد وأن تكون لأمتنا نفس ذات همة عالية ترقى بطموحات وأمال أبنائها إلى قمة المجد .

فلابد أن تكون لنا نفس تواقة دائماً ما تتطلع إلي نهضة أمته ورقيها؛ فإني أتخيل صاحب الهمة العالية إذا وضعت المسئولية علي عاتقه وتحملها ونهض بها فلابد أن يكون له رؤية مستقبلية يرسم بها مستقبل بلاده التي أنجبته وتنفذ وفق خطط مستقبلية تؤدى على مراحل وبمرونة تتماشي مع أي زمن كان أو مع أي شخص عرضت عليه فيجتهد في تحقيق ما يستطيع من رؤية بلاده المستقبلية حتى يكون حاله ـ مر وهذا الأثر ـ فصاحب الهمة لابد له من أثر يتركه من بعده ،

والمستقبل المحفوف بالمخاطر كمستقبل بعض بلادنا لا يريد نفسا كسولة أوعينا غافلة أو عقلا مضطربا أو عزيمة ضعيفةً .

لذلك من يتصدى للمسئولية لابد أن يواصل عمل النهار بعمل الليل وهذا ما علَّمه ربنا عز وجل لرسول الله ﷺ فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ النهار في عمل ودعوة وطاعة والليل إلا قليل منه قيام بين يدي الله ليستمد من الله عونه وتوفيقه بطاعته له وذلك لأن التبعة ثقيلة فلابد من تواصل العمل ألم تقرأ قول ربي ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ فالمهمة الثقيلة لابد لها من عمل متواصل وحركة دائمة لا تنقطع ولا تتوقف لذلك علم النبي ﷺ المراد فأراد أن يكون عبداً شكوراً فكان بالنهار منشغلاً بدعوة الخلق إلي الحق ، وبالليل ينصب قدميه قياماً لله فعن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ فبكت وقالت : قام ليلة من الليالي فقال : يا عائشة ! ذريني أتعبد لربي قالت : قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ! قال : أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ صححه الألباني في السلسلة صحيحة68 .

فالذي يتصدى لتحمل مسئولية الأمة لابد أن تغلب همتُه راحتَه فيتعب ليستريح الناس ويسهر لينام الناس وليكن مع الناس كماء المطر يسقى الأرض بمائه ولا ينتفع من كلأها بشيء أو كمن يعطي ويتصدق ولا يرجو من الخلق خيراً ولا دفع ضر وإنما حاله ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ۝١٠﴾.

هذا الذي يفعله صاحب الهمة لئلا تخذل الأمة بسببه ، فسيسجل التاريخ لكل مسئول ما عمله وتسجيل التاريخ لا يرحم ولا يعرف المحاباة لأن المؤرخين قد يكتبون ما أرخوه بعد موت الجلادين الذين يرهبونهم ليزوروا حقائق التاريخ ، فكما سجل التاريخ ما بذله السلطان عبد الحميد الثاني من أجل الحفاظ علي بيت المقدس وأرض الإسلام ، كذلك دون المؤرخون خيانة مصطفي كمال أتاتورك الذي كان مريضاً بمرض السلطة فباع البلاد واستخف العباد وفوق ذلك كله فإن الله وحده يعلم ويري صنيع كل الخلائق وما يحدِّثون به أنفسهم وسيحاسب الله كل إنسان علي ما قدم ، قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : « أري الإسلام يوم القيامة ينظر في وجوه الناس يوم القيامة ويقول: هذا نصرني وهذا خذلني هذا نصرني وهذا خذلني حتى يري عمر بن الخطاب فيأخذ بيده ويقول يا رب لقد كنت غريباً حتى أسلم هذا الرجل».

فلابد أن تكون لنا همة تنطلق من واقع مهمتنا في بلادنا فكل فرد لابد وأن يكبر بطموحات بلاده وموطنه ليرقي معها قال عمر بن الخطاب ﷺ:

« لا تصغر همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته».

هذه الهمة العالية وهذا الطموح الكبير لأمتنا يجب أن يكون أمراً جماعياً يتحرك به القاصي والداني والكبير والصغير والرجل والمرأة كل فرد يقدم للأمة ما يري فيه رفعتها وتقدمها ورقيها ولو كان بلا ثمن أو مكافأة فالمهم أن أمتنا ترقي وترتفع فوق كل البلاد خاصة بعدما عاشت الأمة فترة عصيبة ألقت بظلالها السيئة علي كل شيء في الأمة ومقدراتها حتى تراجعت البلاد عن دورها المنوط بها فلا سعدت بالعباد ولا سعدوا بها ، ذلك لأن الذين كانوا مسئولين عنها أقعدتهم همتهم فلم يفكروا إلا في أنفسهم ومصالحهم ولم يفكروا إلا فيما ينفعهم هم وذويهم وأحبابهم أم ما دون ذلك حتى من التراب فقد أهُمل ، ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فسقطت بهم همتهم وتُرِكوا لأنفسهم فتفرق شملهم وشرَّد الله بهم من خلفهم ، روي أنس ﷺ قال: قال النبي ﷺ : « **من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**».

ولقد مرت بالأمة في حقبها الماضية من التاريخ أحداث عظام ولكنها نهضت علي أيدي المخلصين الصادقين الذين أخلصوا لله ثم خططوا وفكروا فيما ينفع العباد والبلاد وحملوا المسئولية العظيمة وقاموا بها خير قيام ، فلقد حمل أبو بكر هم هذا الدين بعد وفاة الرسول ﷺ حيث ارتد كثير من الناس فصاح صيحة الأسد وأعلن مقولته الشهيرة :

«أينقص الدين وأنا حي».

فمن هنا يجب علي أصحاب الهمم العالية ألا تنقص مقدرات أمتهم ولا تنقص قيمها ولا مبادئها بل يجب أن تصقل هذه القيم وتلك المبادئ ويعليها الناس فيما بينهم حتى تصبح هموم الأمة وقيمها ومبادئها طبعاً وسلوكاً يسلكونه فيما بينهم من تعاملات فتعرف به الأمة ويصبح سلوكها رمزاً يشير إليها فيجب علي كل مسلم أن يعيش هموم دينه وآلامه ويرقي بهمته إلي طموحاته وآماله .

و لقد تحركت تونس في الآونة الأخيرة فتيقظت بحركتها مصر وانتفضت مصر علي ركام من الفساد كان يواريه زيف المنصب والسلطان وغش كثير من المسئولين لرعاياهم ولكن تعالت همم الشباب وانتعشت طموحات الشيوخ أصحاب الخبرات فاجتمعت همة الشباب مع خبرة الشيوخ وقوة الرجال مع عطف النساء وتواصوا جميعاً بالحق وتواصوا بالصبر حتى أدركوا شيئاً من المراد وبقي لهم من مرادهم أشياء يجب أن يعيشوها واقعاً عملياً حتى يشعروا بلذة ما ضحوا من أجله وحلاوة ما قدموا له الغالي والرخيص .

ولكي نحصد ثمار ما أُلقينا بذرته فيجب ألا تسقط الهمم فإن سقوط الهمم يُفني القمم ، فالوصول إلي قمة الشيء أمر يسير ولكن الحفاظ عليها يتطلب همة عالية ونفساً متوقدة وعيناً متيقظة ولقد ذكر القرآن الكريم نموذجاً لمن سقطت همته فلم ير إلا دنياه القصيرة فكانت النهاية لها مَثَل السوء قال ربنا : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

و قد يكون سبب سقوط الهمم هو البعد عن الله عز وجل وعن طاعته والأمة التي تبعد عن ربها لابد أن تضل الطريق وتسلك الظلمات وتحيا حياة البؤساء لأن الله يتركها لدنياها تتخبط فيها ولا تدري لنفسها خلاصاً ، وقد ذكر القرآن نموذجاً لأناس سقطت بهم همتهم ببعدهم عن ربهم جل وعلا فكانت العاقبة أن طبع الله علي قلوبهم قال ربنا : ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

إن الأمة اليوم تواجه خطراً محدقاً وجسيماً فالأعداء في كل مكان يتربصون بنا الدوائر ويريدون لنا السقوط وإن خطر إسرائيل علي المجتمعات المحيطة بها لقريب وخطر الغرب الذي أوتي من سبل الحضارة والتقدم التكنولوجي والعسكري ليس منا ببعيد فلو غفلت العيون اليوم لحظة عن حراسة الثغر الإسلامي لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ،

فالذي يدرك هذا الخطر ينبغي عليه ألا يغمض له جفن وإنما يتواصل له عمل الليل بالنهار ومن القرآن نستمد ما نتعلم منه لتنهض أمتنا ،

فلقد حكي القرآن حكاية غلام صغير نهض وضحي بنفسه فكان في موته حياة أمة فذكر الله لنا هذا النموذج في كتابه وذكره لنا رسول الله في سنته وإليك حديث القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم :

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج].

وهذا حديث رسول الله ﷺ عن هذا الغلام نقله لنا الأئمة الأعلام. عن صهيب ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « **كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر . فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس ، فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل.. فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس .... فأتى الراهب فأخبره ، فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى فإن ابتليت فلا تدل علي ... وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع ،إن أنت شفيتني ، فقال: إني لا أشفي أحداً .إنما يشفي الله تعالى ، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : من رد عليك بصرك ..؟**

قال ربي قال ولك رب غيري ؟..! .. قال: ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فقال له الملك : أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ منه الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال : إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى ... فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه .. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك ما فعل بأصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ... فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا .و جاء يمشي إلى الملك ..

. فقال له الملك ما فعل بأصحابك فقال كفانيهم الله تعالى ... فقال للملك: أنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال ما هو ؟ .. قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه ثم أخذ سهماً من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات .... فقال الناس: آمنا برب الغلام .. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس . فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخُدَّت وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأقحموه ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أماه اصبري فإنك على الحق »

رواه الإمام مسلم كتاب الزهد والرقائق باب قصة الغلام ورواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار ورواه الإمام الترمذي في باب سورة البروج .

أرأيت عندما شعر الغلام بخطر الملك والساحر علي قومه علم أن له دور ومهمة واجبة الأداء ولو بعد حين ولكنه استقاها من معلمه والمعلم رباه علي قوة التحمل والصبر عند الشدائد لذلك كانت هداية قومه وهزيمة الملك الظالم والساحر والشرير وكان في موته حياة أمة كاملة.

قال البارودي في أشعاره :

ومن تكن العلياء همة نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

لذا تكاد النفس أن تُزهق والأبدان تتعب ولا يستريح صاحب الهمة العالية من أجل رفعة الأمة والدين ومهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن ، ولقد كان معلمنا الأول رسول الله ﷺ: شديد الحرص علي هداية البشر وسمَت بذلك همته ﷺ حتى اتعب نفسه في ذلك ولقد ذكر الله ذلك في كتابه فقال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ ﴾.

أيها السادة:

إننا أمة لها رسالة عامة لكل البشر ويجب أن تصل إلي كل البشر رسالتنا وتجوب العالم كله دعوتنا ، فهي رسالة عالمية للعالم كله ودعوة شاملة لكل البشر تتعايش مع كل إنسان في أي زمان أو مكان ويحيا في ظلها الوارف أي أحد كائن من كان ، فمن يعلم أن له رسالة سامية ودعوة عالمية ومهمة تَحَمَّلها وجب عليه أن يكون له همة علي قدر ما تَحَمَّل وعقل يساير ما يحمل من هم وجسد يقوي علي تنفيذ ما يفكر وعزيمة تدفعه إلي السير قدماً حتى بلوغ هدفه ومراده مهما كانت التبعات العقلية المتفكرة التي تحمل هم أمتها وتظل مشغولة به فهي تفكر ليلاً ونهاراً كيف تحقق لأمتها رفعتها ،

و لقد ذكر التاريخ ما فعله عمرو بن العاص في فتح مصر وكيف أدرك عمرو أهميتها وأن لها موقعاً علي خريطة العالم وسيكون لها موقعها على خريطة الإسلام وأن لها ما وراءها من بلدان تترست بمصر واحتمت بها وكيف أن عمروُ أقنع عمراً وكيف تحايل علي رسول عمرَ وصانعه حتى وصل به إلي حدود مصر قبل أن يقرأ رسالة عمر ليحقق لأمته ما يريد ، والواقع اليوم يقول أن فتح مصر كان نِعمَ الفتح وأنها إلي اليوم لها ما وراءها من البلاد وأدرك العالم كله خطورتها وأهميتها فلمصر لدي دول العالم وزن ثقيل فيجب علي رجالاتها أن يرتقوا إلي مستوي المسئولية المحلية وهي ما يفرضها الواقع الداخلي أو المسئوليات الخارجية وهو ما تفرضه الأحداث الخارجية أو الطموحات والأهداف المستقبلية التي تحفظ للبلاد أمنها ورقيها وتقدمها .

قد يولد الفرد ولا ينفع أحداً حتى نفسه التي يعيش فيها فسيبقي عالة محمولاً ، وقد يولد الفرد ولا ينفع إلا نفسه ، وقد يولد الفرد ولا يتعدي نفعه إلا أهله والمقربين منه ، وقد يولد الفرد ليسعد به مجتمعاً يعيش فيه ، وقد يولد الفرد فيكون في ميلاده إسعادُ أمة كاملة ويصير ميلاده كأنه ميلاد أمة ،

و لقد كان ميلاد سيدنا موسي ﷺ سبباً في سعادة بني إسرائيل جميعاً من آمن منهم ، فكانت نجاتهم من الفرعون علي يد موسي ﷺ بعدما كان الفرعون يذبح أبناءهم ويستحي نسائهم وكان مستعبداً لهم يسخرهم في خدمته ولكن الله عز وجل جعل نجا بني إسرائيل من بطش الفرعون علي يدي موسي ﷺ .

(واجبنا)

الواجب يقتضي علي شعبنا أن يجعل من هذه الثورة ميلاداً جديداً يأذن بدولة جديدة وبشعب جديد له همة تتوقد ، ترتفع به من الثري إلي الثُّريا فبإمكان كل فرد من الشعب أن يكون كذلك فيجعل من ميلادِه ميلاد أمة وهمته ترقي إلي هَمِّ أمته فيرى ما تصبوا إليه أمتنا وترجوه ونتطلع إليه بأنفسنا ونوجه إليه أبناءنا فنحسن تربيتهم على العطاء للوطن وللدين.

أما الذين يتربون علي الأغاني والمسلسلات لا يرتقون إلي هِمَم أمتهم.

لذلك نحن في حاجة إلي صياغة أبنائنا صياغة جديدة تتوافق مع هذه المرحلة فنخرجهم مثقفين ثقافة دينية وطنية لا ثقافة غنائية غثائية ونجعلهم أقوياء إيمانياً قبل أن نرعاهم بدنياً إننا لا نريد خشباً مسنده إذا رأيتهم تعجبك أجسادهم ، لهم أجسام البغال وأحلام العصافير ولكن نريد قلوبا حية تتقد إيماناً وعقولاً تشع نوراً وأجساداً أبيَّة علي عدوها ونفوسا شامخات راسيات كالجبال تتطلع بهمتها إلي طموحات وهِمَم أمتها ، وتسمو بأنفسها فوق كل صغيرة وترتقي فوق كل طغيان وتعلو فوق الباطل كله ، وسمو الذات هذا أمر عظيم لا يتقنه إلا من وفقه الله إليه وهذا ما سنقف عليه في الفصل التالي إن شاء الله.

والله الموفق والمعين .

سابعًا سمو الذات

ذكرتنا الثورة هذه وعلمتنا ما كان موجودا في قيم الإسلام من السمو بالذات إلى ما ترجوه الأمة لأبنائها ومع ذلك الكل كان يعمل ولا شك أن هناك من يجب أن يكون ظاهرا للأضواء والكل يسلط عليه الضوء ، وهذه ليست هباءا وإنما لها ما بعدها من تبعات ، ومع ذلك هناك فريق كبير من الناس يعمل ويتمنى أن يصل إلى مبتغاه ولكنه يعمل في صمت فيقدم الأفكار ولا يهمه أذكر اسمه مع فكرته أم لا ، ويقدم التضحيات ولا يعنيه علم الناس بتضحياته أم لم يعلموا ولكن كل ما يشغل بال هذا الفريق الكبير من الناس أن تحقق ثورتهم أهدافها ولقد رأينا هذا واقعا بعد الثورة ، فالملايين التي خرجت لتسقط أنظمة القهر والظلم والفساد رحلت بعد تحقيق المراد إلى ديارها وبقيت قلة رمزية منها من ذهب للإعلام فكان له الظهور ومنهم من بقي في مكانه ليبقى في ذهن الناس أن الثورة لا زالت جذوتها مشتعلة ونفخة واحدة قد تشعل النيران من جديد ولقد سما المصريون بأنفسهم سموا بالغا فعملوا على أن يرسموا القيم الحضارية التي بها يتظاهر الناس من بعدهم فكان النظام طبعا للمظاهرات وكان الصبر على التضحيات سمة للجميع وبعد الثورة كان الحفاظ على الأمن والنظام والنظافة العامة للطرقات وتسيير المرور ووحدة الصف وإن اختلفت الأفكار ، فالهدف الأساسي واحد وهو إزهاق الفساد وملاحقة المفسدين ، فكان ذلك نموذجا وسمة افتخر العالم كلها بها (والفضل ما شهد به الأعداء).

فلقد علمتنا الثورة أن هناك مراحل من العمل علي الإنسان أن يظهر فيها ويتكلم بصوت واضح مسموع لأن الوقت (الزمان والمكان) يقتضي ذلك ويتطلبه ، لذلك لما حدثت الهزة العسكرية في جيش المسلمين في أحد وكانت الغلبة في هذه الجولة للمشركين وقف أبو سفيان بن حرب ونادي بصوت عالٍ مسموع أعل هبل وقد أورد البخاري القصة في صحيحه بسنده إلى (أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما يحدث قال جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم فهزموهم قال فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ قالوا:والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلا فأصابوا منا سبعين وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة سبعين أسيرا وسبعين قتيلا فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا ، فما ملك عمر نفسه فقال : كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك ، قال : يوم بيوم بدر والحرب سجال إنكم ستجدون في القوم مثله لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز أعل هبل أعل هبل قال النبي ﷺ ألا تجيبوا له قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال إن لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي ﷺ ألا تجيبوا له قال قالوا يا رسول الله ما نقول قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم(اهـ ، كل ذلك كان يجيبه المسلمون بصوت عالٍ مسموع ، فلا مجال هنا لخفض الجناح وإنما الوقت يقتضي أن يكون صوت المسلمين عالياً كما كان سيفهم ماضياً حازما .

و قد يأتي علي الناس وقتٌ لا يحتاجون فيه إلي الصوت العالي بقدر حاجتهم إلي شيء من الصمت والحكمة في العمل والأداء لأن الوقت يقتضي ذلك .

فالوقت في أيامنا يقتضي أن نفكر في عواقب الأحداث ونعمل من أجل أن تسير القافلة ، بعدما كانت هناك معوقات لسيرها ، أما وقد نهضنا وأزلنا هذه المعوقات ؛ فيجب ألا نكون نحن الحجر الذي تتعثر فيه القافلة فتقف عندنا بعدما انتزعنا قيادتها ومسئوليتها من المعوقين لها ، والوقت يقتضي لكي تسير القافلة بلا تعثر أن تتضافر الجهود كل في مكانه وكل حسب موقعه والكل أمناء على هذا الوطن لا فرق بين رئيس أو مرؤوس والكل يؤدي دوره المكلف به دون تعَالِيَ على أحد ، فليس هناك دور أهم من دور ولا مكان أرفع من مكان ، وإنما كل مكان وكل عمل له أهميته في مكانه وزمانه ، فعامل النظافة إن لم يعمل يتراكم الأذى في الطريق فلا يستطيع أحد أن يتحرك فتتعطل حركة الحياة لتعطل هذا العامل البسيط ولهذا فإن هذا العامل في مكانه قد يكون هو من أهم الشخصيات في بلده ووقته وفي مكانه وزمانه، ويجب علي العامة أن يقدروا له عمله ويشعروه بقيمته ، كما فعل ذلك عمر ﷺ حيث رأى أحد رعيته لا يمد يده ليسلم عليه، فسأله فقال إن يده بها صدأ من أثر العمل فقال عمر :

«هذه يد يحبها الله ورسوله ».

فالمفكر الذي يفكر طوال الليل ويرسم الخطط لا يقل في أهميته عمن ينفذها في الصباح بين الناس وإن كان الفارق واضحاً أن المفكر قد لا يعرف تفكيره وجهده إلا القليل من المحيطين به وقد يكون الظهور والشهرة لمن ينفذوها في وضح النهار بين الناس وينسب إليهم العمل الكبير وينسي الناس هذا الذي أمضي ليله ساهراً يحمل في نفسه هم وطنه ودينه وأمته ، ولكنهما في القدر سواء ، من فكر وألقي بذور فكرته ومن نفذ الفكرة وسعي بها بين الناس لتتحول من ميدان الكلمة إلي ميدان العمل والحركة ، فلا يغار أحد من أحد ولا يحسد أحدٌ أحداً ولا يزايد أحدٌ لنفسه علي حساب غيره فليس الوقت وقت تقسيم مكاسب الدنيا ـ فلا زالت التركة مثقلة بكثير من التبعات ـ ولنعلم أن الربح الأكبر في أن نخلص العمل لله ونحرص على الآخرة أشد من حرصنا على الدنيا .

فلكي نسمو بأنفسنا ونجني ثمار ثوراتنا هذه إشارات لابد منها لأي فرد يريد أن يسمو بنفسه في خدمة بلاده فمن هذه الإشارات ما يلي :

الإشارة الأولى
إخلاص النية

يجب أن يعلم الناس أن الربح الأكبر هناك بين يدي الله ؛ الله وحده هو من يزن للناس أعمالهم ويكافئهم عليها ، فقد تكون كلمة خير من كثير من العمل لأنها قيلت صادقة لله ؛ وقد يكون عمل كثير لا قيمة له لأن صاحبه قدمه للناس ، فما كان لله عمل مأجور وما كان للناس عمل مبتور و تجارة تبور ، فهنا اليوم لحظة فارقة تفصل بين الدنيا والآخرة يجب علي الإنسان أن يراجع فيها نفسه ويقف مع نيته فيصححها ويقومها .

وقد أخبر النبي ﷺ أن العمل ونجاحه مقرون بصدق النية وحسن القصد فقد روي البخاري في سنده :

(عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

لذلك وجب علي القاصي والداني والكبير والصغير والرعية والمسئولين أن يراجعوا أنفسهم في نياتهم وليكن هذا السؤال :

س: ماذا أريد من وراء ما أعمل ؟ وهل هذا العمل أعمله لله أم للناس ؟.

و ليعلموا أن سر نجاح العمل أن يكون لله ، ولله وحده ؛ ويجب أن يشعروا بقيمة ما يعملون وأهميته ليتواصل العطاء من أجل نجاح هذه الثورة المباركة .

الإشارة الثانية
إدراك قيمة العمل وأهميته في نهضة الأمة

السلف الصالح من هذه الأمة ضرب لنا مثلاً رائعاً في معايشة قضايا أمته فكأني بهم وهم يحملون هذا الْهَم ويريدون للأمة أن تنهض فكيف تنام عين الجندي وقد أوشك المسلمون أن يُهْزَمُوا في موقعة القادسية حيث لم تكن خيل المسلمين مدربة علي حرب الفيلة فخافت الخيل منها وارتدت مراراً ولم تتقدم وقد نام الكثير مما أهمهم من أمر الخيل والفيلة إلا رجل ظل ساهراً طوال الليل مع ما به من عناء المعركة طوال النهار إلا أن همه بأمر الجيش أقض مضجعه وأرق نفسه وأذهب النوم من عينيه فظل ساهراً يفكر إلي أن وفقه الله لفكرة بناء فيل من الطين وقام الرجل ليواصل عمل النهار بعمل في الليل ويصنع من الطين فيلاً كبيراً ويقوم بتدريب فرسه عليه والفرس يخاف مرة فيرجع والأخرى يتقدم إلي أن اقترب الفرس نهائياً من الفيل الطيني فربط فرسه بجوار فيله فتألف الفرس علي الفيل فلم يعد يخافه فلما كان من الغد وابتدأت المعركة ركب فرسه وخاض بفرسه وسط صفوف الفرس يضرب أفيالهم علي خراطيمهم فيهربون من أمامه والذين لا يدرون له خبراً وراءه ينادونه بأنه سيقتل ولكن هو يجيب :ـ لا ضير ويفتح للمسلمين ، وظل منخرطاً في صفوف العدو يسلط سيفه علي خراطيم الفيلة حتى سلك للمسلمين في قلب جيش الفرس طريقاً سلكه المسلمون من ورائه.

و انتصر المسلمون بعمل فارس واحد ، وبقي الفارس كما هو جندياً بين الجنود لم يصنعوا له تمثالاً ولم يكثروا له من التفخيم والإطراء والمدح ولم يُرقي إلي قائد جند ولكنه عمل العمل لله والله وفقه فالفضل لله العلي الكبير .

وفي موقعة أخري يتحصن العدو بحصن لا يستطيع المسلمون فتحه ويطول الحصار ويهتم المسلمون بالأمر وغدوا يفكرون كيف السبيل لفتحه، وقد أورد صاحب كتاب عيون الأخبار هذه القصة فقال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس إلى نقب منه ، فما دخله أحد. فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه اللّه عليهم ، فنادى مسلمة: أين صاحب النقب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتي ، فعزمت عليه إلاّ جاء ، فجاء رجل فقال : استأذن لي على الأمير فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال: أنا أخبركم عنه . فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له ،

فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً:

1- ألاّ تسوّدوا اسمه في صحيفة « إلى الخليفة» .

2- ولا تأمروا له بشيء .

3- ولا تسألوه من هو .

قال: فذاك له .

قال: أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال:

« اللهم اجعلني مع صاحب النقب » .

ألا تري إلي ذلك ؟!!!!!!!

إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً :

1 – ألاّ تسوّدوا اسمه في صحيفة ـ إلى الخليفة ـ

2- ولا تأمروا له بشيء !

3- ولا تسألوه مِمَّن هو !

جـ - قال: فذاك له

قال : أنا هو !!!..........................!!!!!

إلي الآن لم يعرف من هو ، وقائد الجند يدعو في صلاته اللهم احشرني مع صاحب النقب ، فليس المهم أن يذكر اسمه ولكن الأهم أن المسلمين انتصروا .

خالد بن الوليد وهو من هو في قيادة الجيش ومع ذلك يعزله عمر فلم يكون لنفسه جبهة معارضة وإنما عمل جندياً تحت إمارة أبو عبيدة في مشهد مثالي من مشاهد التسليم والتسلم لمراسم القيادة العسكرية.

فالذي يريد لأمته أن تنتصر ولبلاده أن تسمو وترتفع لا يهمه أين موقعه أو مكان عمله وإنما المهم أن تحيا البلاد عزيزة كريمة .

سباق ليس في وقته

في قلب هذا الخضم الهائل من الأحداث التي تموج بها البلاد بعد ثورتنا التاريخية ؛ نسمع عمن ينسون ما يحدث أو يتناسوه ويفكرون كيف يصلوا إلي سُدة الحكم والرئاسة ، ومع أن هذا المنصب لا يجب أن يترك خالياً ، فيجب أن يفكر الجميع فيما هو أهم منه الآن ، وما هو أهم في تقديري والله أعلم أن تتضافر الجهود وتتوحد القوي لإخراج البلاد من المرحلة الحرجة التي أسميها مرحلة الهواء الطلق ـ بعد ما خرجت من عنق الزجاجة ـ وأصبح كل فرد وهو يستنشق هواء الحرية والكرامة يريد أن يكون له رأياً ويتمني أن يكون رأيه هو الأصوب،

هذه الأماني ليست محرمة في نظري وإن كنت أحب أن ننظر بعيداً عن أماني الأفراد إلي أماني الوطن والأمة ، فالوطن هو الأساس والأمة هي الأصل الذي يستظل بظلاله كل من احتمي به من الأفراد فلابد من وضع أماني الوطن وطموحات الدول في المقدمة فلو تحدثت مصر بترابها وجدرانها لقالت :

أريد أن تكون زراعتي سليمة ، وصناعتي جيدة ، ومن يمشى فوق ثراي فتيا ، **وأن يكون جيشي قويا ،**

أريد ...، أريد ... ، أريد... ،

هذا ما تتمناه بلادنا لنا ؛ فماذا نتمنى لها نحن ؟

لذلك إن الأفكار الشخصية يجب أن تتلاشي شيئاً قليلاً ، ويجب أن يفكر الجميع لما ينهض بالبلاد بعد أن اندحر منها الفساد .

إن المستقبل القريب في استقراء الواقع خير بكثير مما مضي والكل يتمني هذا فليس المهم أن يبني الإنسان لنفسه مجداً علي أنقاض من قد سبق ولكن المهم أن تبني مصر .

الإشارة الثالثة
بنك أفكار الوطن

فلكي نسمو بأنفسنا ونحافظ على ثورتنا ونجنى ثمارها ؛ أقترح علي أصحاب العقول الراجحة والذين تحملوا مسئولية الأمة وورثوا العبء والتركة المثقلة ألا يغفلوا فضلاً كبيراً لشباب مصر الغالي ولا عجب في ذلك فهم خير رجال أهل الأرض .

هذا الشباب الذي كشف صدره في وجه بنادق الظالمين وثار كالبركان الغاضب وكانوا كلما اقتربت منهم شعرت بشدة غليانهم يكادون يتميزوا من الغيظ لما يحدث في هذا الوطن وقد كسرت علي أيديهم القيود ونطقت الألسن ، فيجب أن نتعامل معهم كما علمنا سيدنا علي ﷺ فقال :

« ربوا أولادكم علي غير تربيتكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم » .

فيجب علي المسئولين أن يخصصوا هيئة عامة لتبني مقترحات الشباب وأفكارهم وينظموا بنك أفكار للوطن ، كل من له فكرة تخدم هذا الوطن فليضعها باسمه وعنوانه ووسيلة الاتصال ، ويجب علي المسئولين أن يهتموا بهذه الأفكار اهتماماً بالغاً فقد تكون فيها النهضة ، ولقد نجح الغرب في ذلك في العصر الحديث حيث يتطلع بلهفة وشوق إلى أصحاب القدرات والمواهب في كافة المجالات فيحتضنوها ليبنوا بها تاريخهم وحضارتهم ، فالعناية بالأفكار الوليدة هذه لم يأت فيه الغرب بجديد وإنما أخذا لغرب ذلك من الإسلام الذي تبناها من زمن بعيد ،

ففكرة لسلمان الفارسي في غزوة الخندق كانت سبباً لنصرة المسلمين، وليس مهماً أن ينفذ الفكرة صاحبها ولكن المهم أن ترتفع الأمة فلم تنسب الغزوة لسلمان وإنما سميت باسم فكرته) الخندق (و ليس هناك مانعاً من تكريمه ولو معنوياً كما حدث لسلمان أيضا ،

فقد وضعت له ثلاث أوسمة شرفية بعد طرح فكرته :

الوسام الأول :

سلمان منا معشر المهاجرين .

الوسام الثاني :

سلمان منا معشر الأنصار .

ثم احتكموا بعد ذلك للنبي الكريم ليمنح سلمان وسام الشرف من الطبقة الأولي :

(سلمان منا آل البيت)

سلمان أدي واجبه وأدلي بفكرته وكان سبباً في نصر عزيز للمسلمين .

لذا :

فيجب علي الكل أن يعمل ويجب علي الكل أن يقدم ما يستطيع لرفعة وطنه أمته وينكر ذاته في ذلك .

***

مشهد جدير بالدراسة والتقدير

وقد أعجبني مشهد من مشاهد التاريخ الإسلامي ، بعد رسول الله ﷺ مباشرة كان ميدان المشهد سقيفة بني ساعده .

ذكره البخاري من رواية ابن عباس ﷺ قال :

{............ قال : (يعني عمر ابن الخطاب) .... : وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعده، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم،

لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينَّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مزمَّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة، فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك، فلما جلسنا قليلاً تشهَّد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفَّت دافَّة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت قد زوَّرت مقالة أعجبتني أردت أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم، قال أبو بكر: على رسلك، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري، إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت، فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسباً وداراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أقَدَّم فتضرب عنقي، لا يقرِّبني ذلك من إثم، أحب إلي من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسوِّل لي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذيلها المحكَّك، وعُذيقها المرجَّب، منَّا أمير، ومنكم أمير، يا معشر قريش. فكثر اللغط،

وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت: قتل الله سعد بن عبادة، قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة: أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين، فلا يتابع هو ولا الذي بايعه، تغرَّة أن يقتلا.

في رواية البخاري هذه نرى الأدب العالي والرفيع بين أصحاب النبي ﷺ حتى في الأوقات العصيبة الشديدة نرى أبا بكر خير الأمة بعد رسول الله ﷺ يدخل علي الأنصار فيسمع خطيبهم يتكلم في مجلسه وأبو بكر ينصت له وفاروق الأمة معه لا يختلف عن أبي بكر في إنصاته وحينما يفرغ خطيب الأنصار من خطبته أراد عمر أن يتكلم ولكن إشارة من أبي بكر تكفي عن الكلام ، فيكف عمر تقديرا لإشارة أبي بكر ويتحدث أبو بكر فيعلمنا مهما اختلفت وجهات النظر وتباينت الآراء وتباعدت الأفكار فيجب ألا ننسي الفضل لأهله فحينما يتحدث يذكر الفضل للأنصار أنهم كما ذكر خطيبهم كتيبة الله الذين أووا رسوله ونصروه وأووا إخوانهم من المهاجرين وأيدوهم وشاركوهم أموالهم وديارهم هذا الفضل يجب أن يذكر لأهله ولم يغفله أبوبكر.

ومع ما قاله أبو بكر في حديثه للأنصار لم يطلب الأمر لنفسه فلم يسع للخلافة ولم يريدها لذاته ، ولكن حينما علم أبو بكر أن الخلافة في قريش عرضها علي عمر وأبو عبيدة فقال للأنصار : قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح ، فلم يطلبها أبو بكر لنفسه ومع ذلك كرهها منه عمر وأبو عبيدة .

وفي المواقف الشديدة العصيبة قد يكون اللين فيها هو ما يزينها وهذا ما فعله أبو عبيدة ﷺ حينما كثر اللغط في السقيفة وأراد كل فريق أن ينتصر لنفسه فكان أبو عبيدة الرقيق الرقراق هو البلسم الذي وضع علي الجرح فالتئم .

فقال أبو عبيدة ﷺ (في بعض الروايات عنه) :

«يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بَدّل وَغيّر».

هذه الكلمات من أبو عبيدة الرقيق الرقـراق كانـت للحضـور بلسـما شـافيا فانطفـأت جذوة الغضب وماتت حمية العصبية واجتمع الناس علي أبي بكر ﷺ خليفـة للمسـلمين في أدبٍ راقٍ للخلاف بعد رسول الله ﷺ لم تشهد البشرية مثله في تاريخها ؛ ومـن هـذا الجيـل الذهبي الخالد يجب أن يتعلم المسلمون أن الرئاسة والمناصب ليست مغنما بل قد تكون مغرما ولا يحرص عليها صاحبها حتى تلقي علي كتفه فيقوم بها خير قيام .

وقد أوردت بعض الروايات حينما ترك الأنصار الأمر للمهاجرين فكان حوارا راقيا بين الثلاثة الكبار من المهاجرين من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم صديق الأمة وفاروق الأمة وأمين الأمة ، كل واحد مـنهم ينكـر ذاتـه ويتنكـر لهـذا المنصـب ، ويـرده لصاحبه لا لنفسه؛

ولأن الفراغ السياسي والدستوري بعد رسول الله يجب أن نسد ثغرته ، أدرك الصـحابة أهميته وسارعوا إلي تنفيذه والكل يريده لغيره لا لنفسه وكان الحوار بين عمر وأبو بكر كما ورد في بعض الروايات :

عـمر ﷺ : تولي أنت فأنت الأفضل.

أبو بكر ﷺ : تولي أنت فأنت الأقوى.

عـمر ﷺ : إذن أنت الخليفة وقوتي في خدمة فضلك

و حينما يحدث أمراً ويتدخل فيه عمر ويقره أبو بكر عليه يتعجب الحاضرون ويقولـون والله لا ندري أأنت الخليفة أم عمر فيقول أبو بكر: هو إن شاء .

هو إن شاء لأن الرئاسة ليست مغنما بل قد تكون مغرما هو إن شـاء لأن الرئاسـة لـيس حقا مكتسبا يتركه المرء من بعده لأبنائه ولكن حمل ثقيل وتبعـة عظيمـة ومسـئولية كبـرى يحاسب الله عز وجل المقصرين فيها فالحال إذا يجب أن يكون إن كانت خيـرا فقـد نلنـا منها وإن كانت الأخرى فبحسب آل الخطاب أن يسأل واحد منهم عن أمة محمد ﷺ لـذا كان حال الصديق مع الفاروق هو إن شاء قد يكثر العتاب في هذا الكلام ولكن ليت شعري من لي بهم هؤلاء أبائي كما قال الشاعر :

أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أرأيتم أحبتي كيف ضرب لنا الصحابة الكرام مثلاُ سامياً في إنكار الذات وعدم التسارع علي المنصب والرئاسة ،

عُرِضت عليهم فزهدوها فلما ألقيت علي كواهلهم قاموا بها خير قيام وكان لهم من الله ـ عز وجل ـ معين عليهاـ فمن وجد في نفسه خيراً فذاك ومن وجد غيـره خيـر منـه فليتركهـا لمن هو خير منه فيها وليكن المرء علي نفسه بصير ولا يعرضها للبلاء مالا يطيقه ،

أصلح الله البلاد والعباد والله الموفق والمستعان .

الخاتمة

الأمة المسلمة اليوم تواجه أخطارا عديدة من الداخل والخارج وهذا يلقى بحمل ثقيل على المجتمع كافة أن يقوم كل إنسان بدوره ومسئوليته تجاه أمته ودينه وكذالك تجاه مجتمعه ولكنني أرى أن هذا الذي يحدث هو نهاية المخاض وعما قريب سيفرح المؤمنون بنصر الله ولكن حتى يحدث ذلك يجب على كل القوى أن تكون كلمتهم واحدة وهدفهم واحد وإن اختلفت الوسائل ، فلابد من التلاقي عند نقطة واحدة وهي خلاص الأمة مما هي فيه سواء في الداخل من غطرسة المتسلطين عليها أو في الخارج من الأخطار التي تحيط بها من كل جانب ومن كل لون وإذا كان الأمر كذالك فلا مجال إذا للتنازع سواء ما كان داخليا أو خارجيا ولا مكان للتعصب للفكر الشخصي أو الحزبي أو العقائدي ومهما كانت أسباب الاختلاف فالمجتمع واحد ويسع الجميع كي يسعد بهم فإذا سعد بهم المجتمع ، سعد بسعادته أفراده أيا كانوا .

إن المسلمين الذين يعيشون في الغرب تمتعوا بأمرين :

أولاً : أمر عقائدي وهو مرونة الشريعة الإسلامية التي سمحت لهم بالتعايش مع الغرب مهما تكن ظروفه ما لم يكن فيه ضرر بثوابت العقيدة ولذا عاشوا في الغرب مع أنه يحكمهم بقانون وضعي لا يخدم إلا أفكاره ومبادئه فقط ومن يخالفه مهما تكن الأسباب يقع تحت طائلة القانون ولكن ببساطة الإسلام تعايش المسلمون مع غيرهم واندمجوا معهم محاولين ألا يذوبوا في مظاهر المجتمعات الغربية ولا في أفكارهم أو مبادئهم التي تخالف أمور الإسلام .

ثانياً : مما سعدوا به أيضا استقرار المجتمع الغربي الذي فاء بثمرته على أهله ومن معهم من المهاجرين إليهم فسعدوا بما سعد به المجتمع من الرفاهية والنعيم فجمع الله لهم هناك خير الدنيا وخير الآخرة (ما أطاعوا الله ورسوله) .

وإن إخواننا في الوطن من غير المسلمين يجب عليهم أن يعملوا بكل جهدهم حتى تستقر أوضاع البلاد لتفيء على العباد بخيرها وينعم الجميع في ظلالها وكذلك المسارعين إلى المناصب والجاه بعدما ذلل الله لهم طريقها على يدي الشباب الثائر يجب عليهم أن يغلبوا مصلحة البلاد وعموم النفع للعباد على ما يفكرون فيه من مكاسب شخصية يحاولون من ورائها أن يسعدوا أنفسهم ولا يعنيهم غيرهم فإن الواقع لا يؤيد ذلك ولا ينبغي أن يكون فالسفينة واحدة والأمواج الصاخبة المتلاطمة قد تكون عاتية وقد ينكسر من السفينة لوح فتغرق في مواجهة صخب الأمواج وطوق النجاة لنا طوق واحد فيجب على الكل أن يتشبث به ولا يفرط فيه كي تكون النجاة للسفينة بما تحمل وإن ذلك لا يتحقق إلا بما ذكرنا في هذا الكتاب من أفكار بأن ينكر كل واحد منا ذاته لله ويفكر في أمن الوطن وسلامته ولا يبالى أين كان موقعه أو مكانه وأن تراعى المصالح العامة للبلاد والعباد والتي بها يحفظ الدين والنفس والمال والعقل والعرض وتتوفر لهم بها سبل الحياة الكريمة من الضروريات والحاجيات والتحسينات وكذلك يراعى في ضوء ما سبق أمن العباد والبلاد والعدل العام والحرية والمئونة والحفاظ على الهوية الفكرية للبلاد والعباد وكذلك الصحة العامة .

وحتى يحدث ذلك يجب على الجميع أن يتفاعلوا مع قضايا أمتهم ويتحركوا بإيجابية عالية وهمة متوقدة لا تتوقف ويتخلص كل فرد من الأثرة إلى الإيثار ومن الأنانية إلى حب الخير للغير ، فلابد أن يتعايش الجميع مع الجميع ويصبر الجميع على الجميع ويقبل كل طرف بغيره على اختلاف مورد فكره ولكن يجب أن يكون التفكير كله في مصب واحد وهو كيف ننعم بهذا الوطن وكيف ينعم هذا الوطن بنا وهذه نظرية متكاملة يجب أن تتكافأ فالذي يأخذ لابد أن يعطى .

أيها السادة :

ما هي إلا كلمات قد وثقتها في هذه الورقات القلائل علي أمل أن تكون في كلمة منها إسعاد أمتي ، ودفعني لذلك أنني شاب من بين هؤلاء الشباب الذين انعقدت بهم آمال الأمة وكلى أمل في رفعة بلادي وتقدمها .

ولذا فإني أسأل الله القدير أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من كل سوء ومكروه، اللهم آمين .

وأسأل الله لي التوفيق والسداد في الرسالة القادمة ، كما أسأل الله أن يجزي كل من دعا لي بذلك خير الجزاء .

والله المستعان وهو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم .

فهرس الكتاب